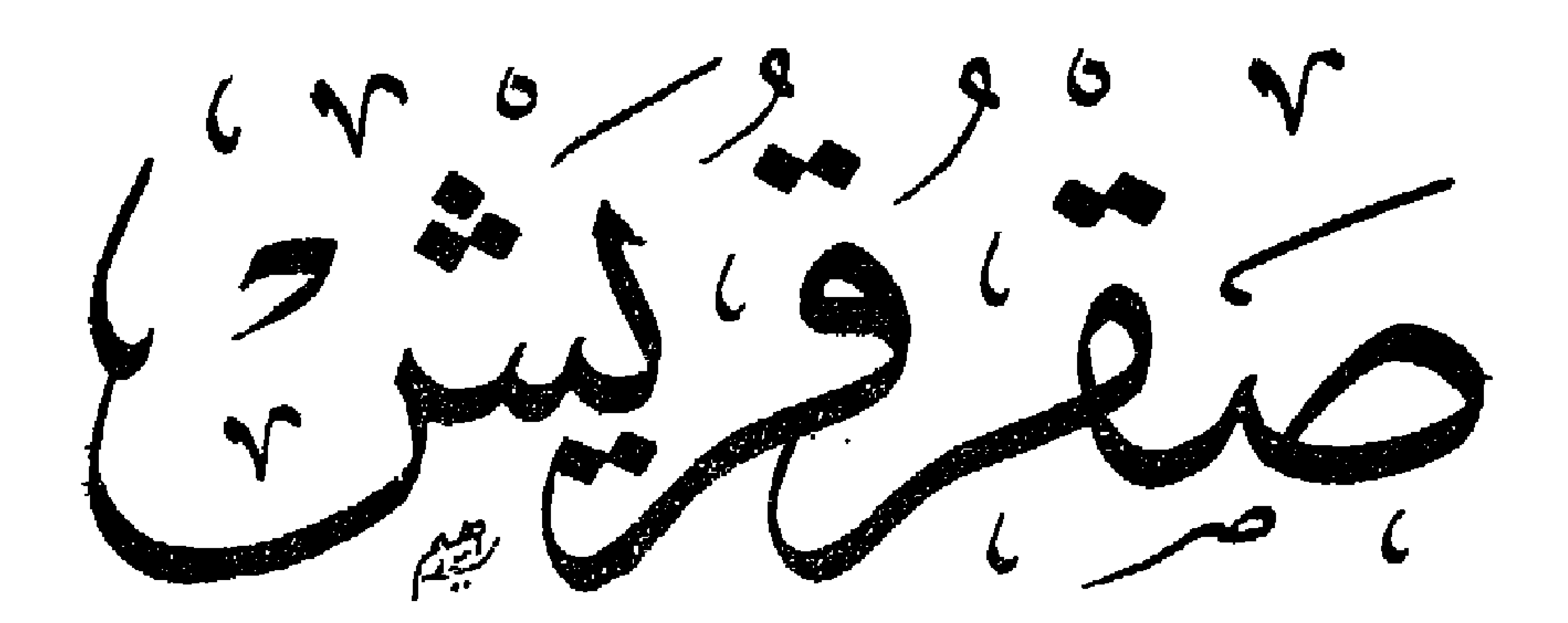

صقر قريش
محمود تيمور
89



مسرحية عربية

تأليف

محمود تيمور

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت: ٤٢٧٧٧

صقر قريش

مثلت لأول مرة بمدينة تونس ، حاضرة الدولة التونسية .

قدمتها (الفرقة البلدية للتمثيل العربي) على مسرح البلدية بتاريخ يوم الخميس الموافق ٨ ديسمبر ١٩٥٥ في حفلات متتابعة ، ثم أعيد تقديمها في يناير ١٩٥٦ في حفلات أخرى .

أشرف على إعداد تقديمها ، بعد الترحيب بها كهدية إلى القطر التونسي الشقيق :

أمير الأمراء محمد الشاذلي حيدر

رئيس البلدية وشيخ مدينة تونس ومحافظها

تولى إخراجها ، وتمثيل دور « عبد الرحمن الداخل » :

الأستاذ زكي طليمات

الذي حقق ، قبل هذا ، لبلدية تونس رغبتها في إنشاء فرقة قومية للتمثيل العربي ، قررت احتراف التمثيل بين هواة المسرح بتونس ، وتحظى بإعانة مالية في كل عام .

وقام أعضاء الفرقة بأداء أدوار المسرحية على الوجه الآتى :

لرجال :

محمد عبد العزيز العقربى	فى دور	منارة
محمد التيجانى	»	أبو الصباح
الهادى السملالى	»	بدر
الطاهر بلحاج	»	ونسوس
عز الدين السويسى	»	ابن عثمان
أحمد التريكى	»	صاحب الشرطة، والمروانى
عبد اللطيف بن جدو	»	سابق
عبد الحفيظ بلحسين	»	هرقل
رشيد قاره	»	القوطى ، وأمير البحر
نور الدين رزق الله	»	الأنوف
محمد الجودى	»	ميمون
الجيلانى التونسى	»	أبو غالب
جلال بورقيبة	»	العملاق ، وحسانه

نور الدين القصباوى	فى دور	العملاق وحسان

والسيدات :

فتحية خيرى	فى دور	ضحى
دليلة خيرى	«	أميرة القصور
الزهرة فائزة	«	تكفات
منى نور الدين	«	رواح
سلوى	«	سحر

فاتحة ... وتعقيب

للأستاذ الكبير زكى طليمات

عبد الرحمن الداخل ، بين أبطال التاريخ ، يأخذ مكانه فى الصف الاول بين الذين اصطفتهم الأقدار ليدفعوا بركب الحضارة الإنسانية إلى آفاق جديدة ...

هو أعظم شأنامن قائد حرب، ومؤسس دولة ، وسياسى وفقيه ومشرع ... إنه صنّاع تاريخ .

و « عبد الرحمن » ، بين البشر ، يؤلف شخصية تنفرد بما اجتمع فيها من أخلاط عجيبة ، وصفات متناقضة ...

إنه لغز ...

واللغز يثير الفضول ويبعث على التأمل ... ولا يكشف اللغز عن كل ما فيه !

تؤلف سيرة عبد الرحمن الأموى الملقب « بصقر قريش » ملحمة ليس لها ضريب ، فى التاريخ العربى ، ملحمة مجيدة ، إذ تشيد بجهاد رجل فى سبيل إنشاء دولة ، ثم هى ملحمة تبعث على التأمل والعجب ، إذ منها تعلو أنشودة الأناشيد تتغنى بالقدَر وسلطانه ،

وبأن العناية الإلهية لا تتصرف فى أقدار الناس من غير حكمة ، وأن الله جل قدره أعلم حيث يضع رسالته ويوحى بإرادته ...

الشريد المطارد

وما نظن أن التاريخ فى مختلف عصوره قدم مثيلا لعبدالرحمن، فيما ناله من الدنيا ، ثم ما أعطاه للدنيا وللأيام ، بعد أن لقى من الشدائد والمحن ونكران الناس له ، بين كيد العصبية وتنكر الأهل والأعوان ؛ وبين قوة التشريد وحرمان الفقر !!

عبدالرحمن ، طريد العباسيين الذين أرصدوا الجوائز لمن يأتى برأسه ، يحلق كالصقر الشديد المراس من شاطىء الفرات بأرض العراق ليهبط بالأندلس فينقذها من تطاحن زعمائها ويوحد شملها، ويؤلف دولة إسلامية قامت معها أزهر الحضارات العربية وأبعدها أثرا فى قيام الحضارة بأوربا.

سلبه العباسيون، عند أول قيام دولتهم على أيدى « الخراسانى » و « أبو جعفر المنصور » ، عرش آبائه ، بنى أمية، وطارده الموت على أيدى عملاء العباسيين ، فضرب فى وجه الأرض مجتازا نهر الفرات سباحة ، وسهام جنود بنى العباس تنوشه من كل جانب ، واخترق صحراء الشام ، وعبر بمصر وتونس وبطول الشاطىء الإفريقى ، والموت يحوم فوق رأسه أينما نزل ...

ثم اجتاز المغامر الطريد البحر إلى الأندلس ، وهو لا يحمل أملا بين جنبيه إلى أن ينجو من الموت ليحيا حياة أمن وسلام ، ييسرهما له ماورثه عن جده الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك من ضياع فى الأندلس .

وفى الشاطئ الإفريقى انحل الوئام ، وكادت تندثر آيةالفتح ، وفى الأندلس أمراء يتنازعون السلطان ، ففى كل مدينة أمير له راية وله جند وأتباع ،إقطاعيون يتناحرون فى سبيل المغنم والجاه ... ترف ونزق ،وفوضى وانحلال ، وغد معالمه سود ، ينذر بأن الفرنجة يعملون على استرجاع البلاد من أيدى العرب .

تروى مصنفات التاريخ هـذا فى إسهاب وتفصيل ، وتزف الشواهد على عظم ما قام به عبدالرحمن ،وهو يصنع تاريخ العرب ، ويغير من مجراه ... ثم يصمت التاريخ !

ولكن ...

على أى نحو استقام الطبع فى « عبد الرحمن » ؟

وما هى العوامل النفسية الباطنة التى جعلت منه بالأندلس (عصاميا) يركب كل حرج ويغامر ؟

ومن أين نفذ الكاتب « محمود تيمور » إلى معالجـة شخصية « عبد الرحمن » لا فى عالم التاريخ ، ولكن فى دنيا النفس ، وفى محيط الإنسان ؟ ؟

وذلك فى المسرحية التى تحمل اسم « صقر قريش » والتى بدأتها « الفرقة القومية التونسية » موسمها يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٥ على « المسرح البلدى » .

هذا التاريخ القاصر !

لا يرقى شك إلى « عظامية » « عبد الرحمن » من حيث شرف المحتد وكرامة النشأة ، فهو سليل « بنى أمية » بيت عريق فى الخلافة الإسلامية ، تحكم فى أقدار العروبة والإسلام قرابة قرن من الزمن ، ورفع راية الإسلام من أرض الصين إلى الأندلس . . .

فجد « عبد الرحمن » لأبيه هو الخليفة الأموى « هشام بن عبد الملك » ويروى التاريخ أن مقاليد الخلافة كانت ستؤول إلى « عبد الرحمن » لولم ينتزع الموت والده ويقصيه عن كرسى الخلافة بعد أن أوصى له أبوه « هشام » بها . . .

والتاريخ يحدث أن « عبد الرحمن » نشأ فى عز ورفاهية عيش ، محوطا بعطف جده « هشام » الذى كان يؤثره على جميع أحفاده ، فشب سليم الطبع ، عزيز النفس ، ليصبح مرموق المرموقين من شباب بنى أمية ، لا يبزه فى الفروسية فارس ، ولا يعلو عليه صائد فى مطاردة الوحش واقتناص الطير . . .

ومن التــاريخ نعلم أن « عبد الرحمن » عرف الزواج المبكر

والأبوة ، ولما يخلع عن طوقه العشرين من سنى حياته . . .

ومن التاريخ نعرف أن « عبد الرحمن » كانت تشوب سلامة خلقته آفتان : كانت بإحـــدى عينيه غشاوة كادت تفقدها قوة الإبصار ، وكان أخشم ، أى أن حاسة الشم فيه لا تميز بين ما يدخل على أنفه .

ويحكى التاريخ أيضا حادثة مهمة وقعت « لعبد الرحمن » وهو صبى ، يحكى أن «مسلمة بن عبدالملك» وكان من المشهورين بالفراسة واستطلاع الغيوب قد تنبأ « لعبد الرحمن » الصبى ، بأن الأمر سيتدانى له ، وأن القدر يعده ليجرى على يديه أحداثا جساما ترفع من شأن بنى أمية ،وأن هذا التنبؤ كانت له أصداء تدوى فى أذنه ، وتذكى فيه أملا بعيدا مجهول الغاية !

هذا مايرويه التاريخ عن «عبدالرحمن» قبل أن تنزل به وبقومه المحنة التى قوضت عرش آبائه ، ودفعت به إلى أن يفر بجلده من جنود العبـاسيين ، تاركاالعراق ليهيم على وجهه شريدا الى أقصى الشمال الإفريقى . . .

ثم يعود التاريخ فيسجل أن « عبد الرحمن » أقام هناك يتلمس حياة الأمن ،وليس لهمطمع فى إمارة أو ملك.. هذا وهو لايحمل بين يديه من عدةلمواجهةحياة التشريد والمطاردة ، غير (عظامية) من شرف المحتد ، لم تفـــده فى أن توفر له أسباب الأمن ، ولم

تعصمه من تعابس الحظ ، وإدبار الدنيا . . .

وعبر « عبد الرحمن » البحر من مشارف مدينة « سبتة » إلى الأندلس ، مهيض الجناح، لا ينشد غير حياة هادئة ييسرها له ماتدره عليه أملاك سبق أن أورثه إياها جده « هشام . . . »

ولكن سرعان ما تغير حال « عبد الرحمن » بالاندلس بعد ذلك !

التاريخ يصمت

تتساءل : كيف انقلب « عبد الرحمن » المسالم القنوع ، مشاغبا مغوارا ، لاحد لطموحه . ولانهاية لنضاله ؟

كيف تحولت (عظاميته) العريقة إلى (عصامية) ، وافدة ؟ ؟

كيف أخذ يعمل ويغامر ، ليبنى لنفسه حياة جديدة ، بين المصارحة والمداورة ، بين السيف والكلم ، ولا يعبأ بالوسيلة فى سبيل الغاية ؟ ؟

يقول « عبد الرحمن » : « وجدتنى أخوض معارك ، وأنغمس فى ألوان عنيفة من النضال ، لم أفكر فيها من قبل » . . .

ويقول التاريخ : إن الأحداث هى التى تخلق الرجال . . .

ويقول تاريخ التطور الاجتماعى مع فلسفة التاريخ : إن عظماء الرجال من طراز « عبد الرحمن » إنما يصطفيهم الغيب ليتخذهم معاول لتنفيذ مطالبه . . .

فلعبد الرحمن تفسير . . .

وللتاريخ تفسير . . .

ولفلسفة التطور الاجتماعى تفسير . . .

ولكن هذه التفاسير لا توضح حقيقة الأمر ولا تجلو الغامض !!
الكائن الإنسانى أولا . . .

إن « عبدالرحمن » قد قام وعاش وعمل قبل أن يكتب التاريخ سيرته ، فهو الأصل ، وهو القوة الإيجابية . . .

و « عبد الرحمن » إنسان ، والكائن الإنسانى فيما يصدر عنه من أعمال إنما يرجع إلى طبعه الذى استقام عليه ، بين وراثة وبيئة . . . فالطبع أولا . . . والأعمال أخيرا . . .

إن تلك التفاسير التى سبق أن ذكرها التاريخ لا تبين عن الأخلاط التى تؤلف طبع «عبد الرحمن» أوغيره من عظماء التاريخ، ولا تكشف عن أغوار التربية التى يكونون عليها ، وإذا كشف التاريخ عن شىء منها ، فإنه كشف لا يتجاوز ظاهر تلك الأخلاط، وأديم تلك التربة !!

التاريخ لا يفسر العوامل النفسية والبواعث اللاشعورية التى تدفع رجاله إلى أن يأتوا بما يسجله فى صفحاته من أعمالهم . هذه البواعث الكامنة فى أعماق الوعى الباطن ، والتى تتألف بعوامل الوراثة والبيئة والأحداث ، وهى القوى الخفية والفعالة التى تدفع بالإنسان

إلى أن يسلك سلوكا خاصا فى حياته . . .

وإذا سكت التاريخ ، فإن الأدب ينبرى ليتكلم ويفسر، فمهمة الأديب فى كتابة القصة والمسرحية التاريخية ، ليكون فى صميم مهمته، أن يتمم الناقص ويجلو الغامض ، ويقدم عظماء التاريخ على حقيقتهم الإنسانية بعد أن ينزع عنهم لبوسا يداريهم . . .

الأدب يحكى

وإلى القارىء أمثلة مما نذهب إليه :

أشار التاريخ إلى تنبؤ « مسلمة بن عبدالملك » ، ولكنه لم يشر إلى شىء عن أثرها فى واعية « عبدالرحمن » ، ثم فى تكوين شخصيته، ولم يفسر ماهية العقدة النفسية التى لابستها منذ الصبا الأول ، ثم ماذا تمخضت عنه حينما رأى « عبد الرحمن » كل آماله فى المجد المرتقب تذوى وقد تحطم طموحه على صخور المحنة الطاحنة التى نزلت به وبقومه . . . حينما أحس أن هذا التنبؤ لن يتحقق ! !

وتلك الغشاوة على إحدى عينيه ، وذلك القصور فى حاسة الشم ؟؟

إن التاريخ لا يتحدث عن شىء من أثرهما فى نفسية « عبدالرحمن » ولا يروى شيئا عن شعوره بالنقص فى هاتين الناحيتين . . .

ثم تلك العظامية ، وقد هبطت من عليائها تحت وقع الأحداث ، فمسحت أديم الأرض بجبينها . . . أى هزة طاغية أنزلتها « بعبد الرحمن »

فجعلته ينطوى على نفسه ، ويلم أطراف ثيابه الممزقة ، ليدارى محاسر جسمه ؟ ؟

مما أغفل التاريخ ذكره فى هذا تبدأ مهمة الأدب ، ويتكلم علم النفس الذى هو العماد الأول فى القصة والمسرحية . . .

أول خيط

من هذه العقدة النفسية التى حفرتها فى واعية « عبدالرحمن » تنبؤات لم تصدق . . .

ومن تلك « العظامية » التى تداعت أركانها فى قلب « عبد الرحمن » . . .

ثم من ذلك الشعور بالنقص فى قوة الإبصار وحاسة الشم — تسلم المؤلف « محمود تيمور » طرف الخيط الاول ، وأخذ ينسج منه شخصية « عبدالرحمن » « صقر قريش . « عبدالرحمن » الإنسان الذى يتأثر كسائر البشر ، وانبرى يفسر الدوافع الشعورية واللاشعورية التى دفعت به إلى أن يأتى من الأعمال ماجعله أحد حفظة التراث الإنسانى فى الحضارة وتطورها . وقد اتخذ المؤلف مما سجله التاريخ وسيلة ، وليست غاية . . .

لولا هذه « العقدة النفسية » ، ولولا حسرات مريرة على « عظامية » ضاعت وعز فقد ، ولولا شعور بالنقص فى ناحية من

التكوين الجسمانى — وكل هذا من فعل الغيب الذى يتصرف فى أقدار الناس على الوجه الذى يريد أن يكونوا عليه — لولا هذا كله ، لما تهيأ « لعبد الرحمن » ذلك الطبع الذى رسم سلوكه أمام المحنة التى نزلت به ، وقدر فعاله للخروج منها .

هذا مايلوح به ، « محمود تيمور » فى مسرحيته . . . ويحاول تقريره من خلال علم النفس فى العقل الظاهر وفى الوعى الباطن .

عصامية وعظامية !

لقد اصطلحت لوامع العقدة النفسية مع مرارة « العظامية » الذاوية ، اصطلحتا على « عبد الرحمن » فى أن يفتعل الأفاعيل ، وأن يركب الحرج والأهوال لينشىء له عالما جديدا ، يقوم فيه توازن بين ماكان عليه ، وبين مايجب أن يكونه ، توازن يغذى نهم العقدة النفسية ويرضى طموح صاحبها .

ثم أمده شعور بالنقص فى بصره وفى شمه بما يجعله يحسن التفحص ويميل إلى الحذر ؛ لأن الأعور ومن على شاكلته مجبول على أن يطيل التحديق والتفحص ، ومن لا يميز مايدخل على أنفه مشدود إلى التحرز والحذر .

وليس من الميسور أن يتحول « العظامى » ربيب العز والترفع إلى « عصامى » قد يحنى هامته ، وقد يتكلف ماليس فيه ، وقد يركب

من الوسائل لإدراك الغاية ، ما ينكره الخلق النبيل المتسامى .

بل أعسر من هذا ، أن توفق هذه «العصامية» الطارئة ، إلى بناء مجد تطول قامته على «عظامية» كانت .

ليس هـذا ميسورا إلا لمن أوتى فطرة قوية مثل فطرة «عبد الرحمن» تتفجر فيها ملكات دفاقة من الجلد والصبر ، من الرجاحة والإقدام ، ومن الليونة والحذق فى تصيد الفرص ، وقد اندفعت كل هذه القوى اندفاعا إيجابيا ، وألهبتها فى الوقت نفسه تيارات جامحة من الوعى الباطن ، مأتاها عقدة نفسية وشعور بالنقص .

الوصولى الجبار

و «الوصولية» تجرى عادة فى أثر «العصامية» ، ولكن العصاميين ، لا يحسونها ، وإن أحسوا بها ، فإنهم لا يأبهون بوسائلها المنحرفة ، على اعتبار أنها مطية إلى قطع مرحلة ، وحذاء لخوض مباءة لا بد من اجتيازها !

وأراد «تيمور» أن يجسم هذا فى سلوك «عبد الرحمن» ، فإذا هو يجعل منه — وذلك فى أسلوب من أساليب الوصولية — يجعل منه خلب نساء ، يخلب لب أميرة ذات ثراء ، من أجل أن تبذل ما لها فى سبيل الدعوة له ، وجمع الأنصار حوله !

ظلام النفس

وانتقل المؤلف ، وهو يقدم شخصية بطله ، الى معالجة نواح أخرى ألقت أضواء جديدة عليه . . .

ما أثر تلك المطاردة والملاحقـــة اللتين اكتوى بنارهما « عبد الرحمن » طوال إقامته بالشمال الإفريقي ؟ ما أثرها فى نفسه بعد أن خاض منها واستقر له الأمر بالأندلس، وصار سيدها الفرد مدى ثلاثة وثلاثين عاما ؟

أصبح « عبد الرحمن » يرى فى إقبال النساء عليه لونا من المطاردة والملاحقة اللتين يمقتهما كل المقت ، فصار يضيق بكل امرأة تميل إليه وتنشد وده . . .

ثم هب وعيه الباطن يثأر لنفسه ممـا نزل بصاحبه من اضطهاد العباسيين له ومطاردتهم إياه . . . لقد تغرب هو وفارق الأهل والوطن ، وأمضه هذا ، فلماذا لا يكابد غيره مثلما كابد ؟ ؟

وكان مظهر هذا ، أن « عبد الرحمن » عاود هواية الصيد بعد أن تركها تحت تأثير المحنة التى به ، فصار يمعن فى مطاردة الوحش ، وكأن بينهما ثأراً مفقوداً !

ثم تجاوز هذا إلى مطاردة أنصاره وعملائه ، فهو يطوح بهم كل يوم الى أقصى البلاد بحجة أنهم ينجزون مهام الدولة ، فإذا احتج

أحدهم غمره بالتقريع الشديد ، بعد أن يضرب الأمثولة بنفسه !

واشتد « عبد الرحمن » فى هذا وفى غيره وبالغ ، فلكل هفوة عقاب ، ولكل منحرف عذاب ، ولو كان من أخلص خلصائه . صرامة مأتاها الثأر لنفسه مما لقى من تعذيب الأيام له ، وصرامة اكتسبها من مرارة النضال ، فكان أن قضى على أنصاره ، وعلى أعدائه معا ، وبقى وحيدا مثل العقاب الذى يعيش فى القمم السامقة .

وهكذا كشف « تيمور » عن القوى الباطنية ، التى كانت تستعر نارها فى أعماق « عبد الرحمن » ويتكاثف بخارها يضغط ويلح فى الانطلاق ، فإذا « عبد الرحمن » ينطلق بدوره مثلما تنطلق القذيفة إلى هدفها بدفع البارود !

الحق التاريخى

وفى هذا ، وفى غيره مما ابتدعته قريحة « تيمور » ليقوم شخصية « عبد الرحمن » التقويم الإنسانى الذى يخضع لعوامل البيئة ودوافع النفس ، لم يفرط « تيمور » فى إعلاء الحق التاريخى فى حياة بطله .

والحق التاريخى ، مثل الحقيقة المجردة ، والحكمة المنشودة ، تيه واسع الرحاب ، ولا يجمل بمن فى تفكيره وزانة ، وفى نفسه تواضع ، أن يدعى حيازتها وامتلاك ناصيتها . . . .

و « عبد الرحمن الداخل » شخصية متعددة النواحى ، متداخلة

الشعاب ، يحار المتأمل سيرتها ، كيف انتظمت فيها كل هـــذه الأخلاط . . . خيال الشاعر ، وصرامة الجندى المناضل ، ودهاء السياسى الذى لا يبالى بالوسيلة فى سبيل الغاية . . . كائن إنسانى عجيب يتنقل بين المصارحة والمداورة ، بين الرقة والقسوة ، بين التحوى والوثوب . . . وهو فى كل هذا يتقلب متماسك الأطراف ، كاللحن العبقرى ، يعلو وينخفض ، ويرتعش نبره ويستقيم ، وهو على هذا وبهذا يلفت ويطرب ويثير العجب والإعجاب !

كلنا ســـواء !

وأبطال التاريخ مهما تساموا بفعالهم ليسوا إلا بشرا يجرى عليهم ما يجرى على سائر الناس من حيث تأثرهم بالأحداث التى تشملهم وتدق فى أصلابهم . . .

وعظماء التاريخ مهما تعالوا بصفاتهم ، ليسوا إلا آدميين ، يعرض لهم ما يعرض لبنى جنسهم ، من تزعزع وشك ، ومن ضعف ووهن . . .

هذه الحقيقة يجب أن يعليها كل الإعلاء ، القصاص أو الكاتب المسرحى حينما يجرى قلمه معالجا إحدى الشخصيات التاريخية التى تنعقد فوق رأسها هالات البطولة والعظمة .

إن إخضاع الشخصيات التاريخية المعالجة فى القصة أو المسرحية لما يصح أن تتأثر به وأن يبدو منها ، وفقا لتلك الحقيقة وتبعا لطبيعة

النفس البشرية ، إذ تهتز متأثرة بفعل أثر حدث من الأحداث الكبيرة . . هذا الإخضاع يضفى على الشخصية المعالجة مسحة إنسانية صادقة ، بل إنه ليؤلف حجر الزاوية فى تقويمها تقويما بشريا سليما نحس انعكاسه فى نفوسنا .

وصغار كتاب القصة أو المسرحية يؤخذون دائما بأسباب البطولة البراقة التى يضفيها التاريخ على الشخصية التى يعالجونها، فإذا هم يرسمونها وكأن صاحبها كائن ليس من فصيلة البشر ... أى كائن أسطورى، بعد أن يعلوا بصفاتها على مصاف الآدميين . ويعصموها عن مواطن التردد والتشكك والضعف والخور !

إنهم بهذا يضفون على هذه الشخصية مسحة من الجمود والزيف إذا أرضت بطولة التاريخ، فإنها لا ترضى الحقيقة الإنسانية. والتاريخ كما سبق أن أشرنا ، لا يصدق ولا يدق إلا فى تسجيل أعمال أبطاله ولكنه بعيد عن الصدق وعن الدقة فى تقويم نفوسهم هذا التقويم الذى هو أساس (الصدق الفنى) فى المسرحية، لأن التاريخ منصرف عن هذا إلى سواه .

ضربة أستاذ

عرف « محمود تيمور » هذا الفارق، الفارق بين الجمود التاريخى

فى الكشف عن تفسير النزعات الخفيه التى تعتلج فى نفوس أبطاله وتدفعهم الى العمل ، وبين (الصدق الفنى) القائم على حقيقة أن النفس واحدة فى جميع الناس بما تتأثر به ، ثم بما تؤثر فيه .

وآية ماتقدمه فى هذا ، موقف « عبد الرحمن » من نفسه ومن أمله الكبير حينما صودم فى أعماق نفسه ، بأن التنبؤ الذى تنبأ به له « مسلمة بن عبد الملك » لم يتحقق فى شىء ، بل إن الأمر يجرى على عكسه ، بعد أن اصطلحت على « عبد الرحمن » فى الشمال الإفريقى ، وقبل أن يركب البحر إلى الأندلس ، الأهوال والمحن فسلبته كل شىء حتى الأمن على حياته . . .

إن التاريخ لايزيد فى تبيان شخصية «عبد الرحمن» ، من حيث التفاؤل والتشاؤم ، إلا أن يروى أن « عبد الرحمن » كان مسرفا فى التطير ، وفى الإيمان بالغيبيات والأقدار ، وذلك بتأثير النبوءة السالفة الذكر ، ولكن التاريخ لايكشف عن مدارج هذا الإيمان فى تطوره تحت ضربات الكوارث والأهوال ، ولكن التاريخ لاينقضى مظاهر التغير التى نزلت بنفس « عبد الرحمن » بتأثير هـذا التطور !

المسرح يفسر

ماتجاوز التاريخ عن تبيانه ، أفصح الأدب بعلم النفس عنه،

فى مستهل الفصل الأول من هذه المسرحية نرى عبد الرحمن ، على قلم « محمود تيمور » وقد تزعزعت عقيدته فى القدر ، بعد أن جحد تنبؤ « مسلمة بن عبدالملك » له ، وذلك تحت تأثير الأهوال التى تنتاشه من كل جانب .

تزعزع « عبد الرحمن » وجحد . . . شعور إنسانى صادق ، وحالة نفسية عامة تلابس أى كائن بشرى ، بلغ ما بلغ من قوة الطبع ، حينما يصبح فريسة لمثل تلك الأهـوال التى كانت تعصف « بعبد الرحمن » .

لقد ضعف « عبد الرحمن » ، ولكنه ضعف مكتوب على البشر ، ولو لم يضعف ، على قلم « محمود تيمور » لما استقامت شخصيته ، فى إحدى نواحيها ، على منهاج إنسانى سليم !

لقـد اختلف الأديب المسرحى مع المؤرخ أمام صفة بارزة من صفات « عبد الرحمن » . . . ولكنه اختلاف فى التفاصيل وليس فى الجوهر ، ثم سرعان ما تدارك الأديب موقفه وأصلح أمره مع التاريخ . . . فإذا نحن نرى ، فى الفصل الأول عينه ، حدثا تبتدعه مخيلة الأديب المسرحى « تيمور » ، حدثا مروعا يهز « عبد الرحمن » فى أصلابه ، ويرده إلى حظيرة الإيمـان بالغيب وبسلطان الأقـــدار !

بهذه اللغة البارعة أعلى مؤلف المسرحية شأن الصدق الفنى ، في حين أنه لم يخل بالحق التاريخى !

وتتمشى نظائر لهذه اللفتة البارعة فى جنبات المسرحية : « صقر قريش » ، وكلها ترمى إلى تحقيق غرض واحد ، إبراز « الإنسان » الكامن وراء « عبد الرحمن الداخل » بقوته وبضعفه، بتشككه وإيمانه ، بمتناقضاته . . . بسوانحه . . . ببدواته . . . بوقار تفكيره . . وكلها تدور لاجتذاب « عبد الرحمن » من ظل التاريخ إلى ضوء الحقيقة البشرية .

محــور آخر

وفى غير هذا المحور أدار « تيمور » مسرحيته على محور آخر ليقول: إن للجد والمثابرة ،وللصبر والمصابرة فى سبيل تحقيق الغاية — إن لهذا كله ثمرة وجزاء ، وإن المطالب لا تنال بالتمنى، وإن المحن والأهوال إنما هى مقياس القوى الكبيرة الكامنة فى الأفراد والشعوب . وهذا كله من صميم (أدب القوة) لا الخور. ومما يجب أن يقرع آذان شعوب الشرق العربى ،وقد أخذت بأسباب القوة، وأيقنت على هدى الأحداث ، ألا حق ينال من غير قوة تسانده.

وبقى أن نعالج فى هذه المسرحية ناحية أخرى :

إلى أى شىء استجاب « محمود تيمور » فى اختيار موضوع هذه المسرحية ؟ ولماذا اختار شخصية « عبدالرحمن الداخل » محوراً أساسيا ؟ وما هى المؤثرات التى سيطرت على قلمه ، وهو يستثير الماضى ليخاطب الحاضر ؟

الفن لايحيا بنفسه

لانتردد فى أن نقرر أن « تيمور » قد استجاب فى كل هذا إلى عاملين رئيسيين: اولهما ماهو قائم فى الأقطار العربية، وآخرهما: مايجرى فى مصر . ولاننسى أن « تيمور » يعيش فى القاهرة ، وقد عاصر ما قبـــل الثورة المصرية الأخيرة ، ثم تأثر هو نفسه بهذه الثورة . . .

وبعبارة أخرى : لقد استجاب إلى مايدور فى نفسه وفى نفوس الناس ، والأدب الحق ، الأدب الحى ، هو ما يعبر عما يشغل أذهان الناس ، ويدق به نبض الأيام .

ونأخذ بأسباب التفسير فنقول :

هذا الشرق الفائر !

إن أقطار الشرق العربى تقف اليوم فى مفترق طريق، ويختلج

وعيها بتيارات فائرة ، تهمس تارة ، وتصيح تارة أخرى . تيارات مأتاها أن هذا الشرق يعانى أمراض مرحلة انتقال خطيرة ، بعد أن نضج وعيه ، وتفتحت آماله ، ليأخذ مكانه فى ركب الحرية والعزة والحضارة . . .

ولكن هذا الشرق يعتريه أحيانا تطوح وترنح بين القديم البالى فى أكثر قيمه الاجتماعية ، وبين الحديث الوافد . . . بقيم جديدة . فمن ناحية : يقظة وتوثب ، ومن ناحية أخرى : خمول وتردد بتأثير مخلفات عصور الظلام والانحلال التى تعاقبت فى غير رفق عليه ... ومن المعلوم ألا خلاص من حال طال أمدها إلى حال جديدة ، إلا بعد مكابدة وجهد ، وتقدم ونكوص !

وفى مثل مراحل الانتقال هذه ، تجرى الحياة على إيقاع غير منتظم ، ويشوبها تطرف فى انطلاق الغرائز ، وإسراف فى شهوة البروز ونباهة الاسم . فللقديم ، وللحديث ، ولما بينهما ، قادة وأنصار وذيول ، ولكلٍّ رأى لا يؤمن إلا به ، أو على الأقل يتظاهر بإيمانه به ، والجميع يتهالكون فى منازعات وخلافات ، وقد نسوا الأرض التى يقفون عليها ، مطامع . . . وشهوات فى سبيل الجاه والنفوذ والسيطرة . . .

وبهذا يقوم لون من الإقطاع ، فى الأفراد ، وفى الجماعات ،

باعتبار أن (الإقطاع) فى جوهره استئثار متطرف بالغنائم ، سواء أكانت مغانم معنوية أم مادية .

الإقطاعيون

وفوق هذا ؛ فإن أكثر الأقطار العربية قد اعتنقت المذهب الديمقراطى فى نظام حكوماتها ، أو هى فى الطريق إليه ، فالأحزاب السياسية قائمة فيها على أحسن حال ، تتغذى وتسمن من جهل الشعب فى أكثريته بماهية هذه الديمقراطية . . . والمنازعات بين هذه الأحزاب لا تفتر ولا تنتهى .

والأحزاب السياسية إذا أسرفت فى إعلاء مصالح أعضائها على الصالح القومى العام . . .

والأحزاب إذا بالغت فى سيطرتها على الناس ، وتحولت إلى أصنام لها سدنة وعباد وطوائف . . . وحملة مباخر . . .

والأحزاب إذا تجاوزت أغراضها الأولى، وهى تمحيص الرأى وتبادله ، وتسخير قواها لصالح الوطن ، أصبحت هى : (الإقطاع) بعينه .

كذلك فى الشرق العربى بعض من زعماء تسلموا بين أيديهم السلطة الواسعة ، مع الهيمنة على إدارة البلاد ، ولكنهم تسلموا فى الوقت نفسه أكبر زاد من الصلف ، والأنانية، ومرض الاستعظام،

فهم يعلون ذواتهم فوق كل اعتبار . . .

وهؤلاء بدورهم (إقطاعيون) ولا فخر ! .

فالمشاهد الصريح ، أن أقطار الشرق العربى لها مواسم تعيش فيها غارقة فى دوامات ملتوية ، وتكابد ألواناً من التطاحن ، وكأن هـذا الشرق لم يكد يفرغ من نزاعه مع الغاصب والمستعمر إلا ليغرق فى نزاع آخر ، نزاع داخـــلى تسعر ناره فى أحزابه وبين قادته !

هذا والغرب مازال يطمع فى أن تكون له سيطرة على الشرق !

الأدب انعكاس للحياة

من هذه الحال فى الشرق العربى ، هبط أول استلهام على رأس « تيمور » فى أن يكتب هـذه المسرحية . . ولو كان من رجال السياسة أو الصحافة لعالج الأمر على نحو آخر، ولـكنه رجل أدب ومسرح ، والفن والأدب فى أسلوبهما العـالى ، فوق تقرير الحال بلسان حاد أو بصراحة قاسية ، والأديب لا يملك غير التلويح والإشارة وغير إحياء العظة وإطلاق العبرة . . فعمد « تيمور » إلى التاريخ ينشد الإشارة والتلويح والعظة والعبرة ، فاختار من التاريخ صفحات تكاد معالمها تتفق مع ما هو قائم اليوم — وما أكثر ما يعيد التاريخ

نفسه ، ولكن فى لبوس جديد ، فاختار صفحة من تاريخ الأندلس حين تمزقت فيها الوحدة ، وتفرقت الكلمة بين العبث والترف وبين تطاحن (الإقطاعيين) من زعمائها فى سبيل المغانم الشخصية والتفرد بالسلطان ، هذا والفرنجة يطلون على البلاد من أعلى جبال البرانس . ويترصدون الفرصة لينقضوا على العرب . . .

ثم هبط « عبد الرحمن الداخل » أرض الأندلس كالصقر ... فحزم الأمر . . .

نحن فى حاجة إلى صقر !

أليس فى هذه الصفحة ما يقدم لنا العظة البالغة ؟

أليس فى هذا ما يذكرنا الواجب ، ويسكب فى نفوس القادة والزعماء ما يجب أن يكونوا عليه ويقوموا به ؟

ثم يجىء العامل الآخر الذى دفع « محمود تيمور » إلى صياغة مسرحية (صقر قريش) على الوجه الذى هى عليه .

إن كلمة (الإقطاع) و (الإقطاعيين) منبثة فى جنبات المسرحية ، وهى عين الكلمة التى تردد فى مصر على كل لسان !

هل يعضد « تيمور » الثورة المصرية على الإقطاع ، وعلى الأحزاب ، وعلى الانتهازية والتجارة باسم الوطن والوطنية ؟

أيريد أن يهمس بأن الشرق العربى لا يستقيم حاله فى أقطاره إلا أن يتولى أمورها حاكم عادل مطلق التصرف ؟

فهل ينادى بوحدة العروبة فى ظل راية واحدة ؟ ؟

هل يريد أن يقول إن نظام الأحزاب السياسية ، على الحال التى هى عليها ، نفعها أقل من ضررها ، وإن حسناتها توازيها سيئاتها ؟

أو هو يعرض الصورة فحسب ، ويترك للمشاهد لها أن يستخرج منها ما يستطيع استخراجه وفقا لوجهة نظره ؟

أياكان الغرض والقصد من هذه الصورة البليغة ، التى تزدحم فيها ألوان من التأويلات والرؤى واللمحات ، فإن امرا واحدا لا يرقى إليه تأويل أوشك . وهو أن « تيمور » قد وفق التوفيق كله ، فى الاستجابة إلى مايجرى فى أقطار الشرق العربى ، وجعل من مسرحيته (صقر قريش) أصداء لما يشغل أذهان الناس فى هذه الآونة . . . وهذا من الأدب الحى وكفى !

وكل فن حى من الفنون لا يقصد بذاته ، ولا يحيا بنفسه ، وإنما هو صورة لانعكاس الحياة فى الفنان ، بحيث يصبح الفن شركة بين شخصية الفنان ، وبين المجتمع الذى يعيش فيه .

تحية البطل « عبد الرحمن »

أما بعد . . .

فقد يحلو للقارىء أن يتساءل ، بعد أن يشاهد هذه المسرحية ،

وتهزه بطولة « عبد الرحمن » : أين يرقد جثمان هـذا العبقرى فى شخصيته وفى سيرته ؟ .

وأجيب عن هذا التساؤل :

دفن « عبدالرحمن » فى مدينة «قرطبة»بقصره« المنية» — بضم الميم وسكون النون — ولـكن هذا القصر قد عفا أثره ودكت معالمه ، بعد أن اغتصب الفرنجـة أرض الأندلس من يد العرب وأطلقوا فيها معاول العبث والتدمير ...

إن قبر « عبد الرحمن » هو الـكون كله ، هو الهواء ، هو النفوس الـكبيرة .

قال الشاعر المصرى الـكبير « أحمد شوقى » فى موشحه الطريف الذى صاغه على شرف « عبد الرحمن » وبطولته ... قال فى هذا الصدد :

قصرك « المنية » فى قرطبةٍ فيه واروك ولله المصيره

صدف خط عـلى جوهرةٍ بيدأن الدهر نباش بصيره

لم يدع ظلا لقصر « المنيةِ » وكذا عمر الأمانى قصير

كنت صقرا قرشيا علمـــا ماعلى الصقر إذا لم يرمس

إن تسل أين قبـــور العظما فعلى الأفواه أو فى الأنفس

شخصيات المسرحية

ا — الرجال .

عبد الرحمن الأموى : أمير الأندلس

ونسوس	: من مناصريه وأتباعه فى شمال إفريقية من البربر
منارة	: شيخ معمر ، يتعاطى كشف الغيب .
بدر	: مولى «عبد الرحمن» وأقرب الأتباع إليه .
ميمون	: خادم فى بيت « ونسوس »
ابن عثمان ابن خالد	: أميرا جيش الشام فى الأندلس .
أبو الصباح	. أمير أشبيلية .
المروانى	: أمير الجيش
أمير البحر	
حسان سابق ابن مسعود	: من أتباع « عبد الرحمن »

القوطى
الأنوف : من أصحاب الظلامات .
العملاق

هرقل : قزم مهرج فى قصر « عبد الرحمن »
قُوّاد
جنود
أتباع

ب — نساء

تكفات : زوج « ونسوس » من البربر .
رَواح : جارية فى بيت « ونسوس »

ضحى
فجر : من الجوارى فى قصر « ابن عثمان »
سَحَر

أميرة القصور : أخت « ابن عثمان »

الفصل الأول

العام الهجرى الثامن والثلاثون بعد المائة
معالم الخريف . مطلع الفجر . . . . .
السماء مكفهرة : برق يومض ، ورعد
يقصف ، ومطر ينهمر فى الفينة بعد
الفينة ، وسحاب يتثاقل فى سيره ،
مؤذنا بهبوب عاصفة . . . .
مشارف مدينة « سبتة » عن كثب من
بحر « الزقاق » . . . .
دار عتيقة أوشكت أن تتخرب ، لها
مستشرف ينظر البحر . . . .
« عبدالرحمن » يتخذ من الدار مخبأ له .
« رواح » فى قاعة من الدار تذهب
وتجىء على قلق واضطراب ، ثم تمضى إلى
المستشرف فتجد بصرها صوب الشاطىء

رَوَاح : (تهمهم) يارب . . . يا إلهى . . . نجه من المخاطر . . .
احمه من كل سوء .

تقصد الى مشجب معلق عليه وشاح ،
فتمسح عليه ، وتلثمه . . . .
« تكفات » تقدم على غرة ، فتباغت
« رواح » وهى تلثم الوشاح . . . . .

تكفات : ماخطبك يا « رواح » ؟

رواح : (مأخوذة) سيدتى « تكفات » ... لاشىء ... إنى أنفض الغبار عن وشاح الأمير ...

تكفات : حسبك ... أمن أجل نفض الغبار عن الوشاح ، هجرت الفرش فى ساعة السحَر ؟!

رواح : استعصى على أن أنام ، فجئت أرقب مطلع الفجر ...

تكفات : ترقبين مطلع الفجر ؟!

رواح : طاب لى أن أشهد سنا الفجر على صفحة البحر ... مشهد يأخذ بمجامع القلب !

تكفات : أذلك هو السنا الذى يأخذ بمجامع قلبك ، ومن أجله تهجرين فراشك كل ليلة ؟!

تحملق فيها لحظات ، ثم تستأنف القول :

« روَاح » ...

رواح : لبيك سيدتى « تكفات » ...

تكفات : أفيقى من أحلامك يابنية .. لا تطلبى المحال ...

رواح : ماذا ياسيدتى ؟

تكفات : تتغابين يا « رواح » ... إنه عنك فى شغل ...

رواح : من تعنين ؟

تكفات : أنت تعلمين من أعنيه ...

رواح : سيدتى . . .

تكفات : أنصح لك يابنية ألا تستسلمى لتلك العاطفة التى تعتلج فى نفسك...حاذرى الانسياق وراء الأوهام!

رواح : (كأنها تنشج) أؤكد لك ياسيدتى « تكفات » .

تكفات : (مقاطعة) الأمير «عبدالرحمن» فى شغل عنك ، بل هو فى شغل عنا .

رواح : (تمسح عينيها) وما شأنى بالأمير ياسيدتى ؟

تكفات : أجهلت يا « رواح » من أنت ، ومن هو ؟

رواح : (شرقة بالدمع) لم أجهل ياسيدتى ... أنا « رواح » الفتاة التى التقطتها أنت من الطريق لاتعرف لها من أب ولا أم ... أخذتك بها رأفة ورحمة ، فكفلتها وأحللتها من نفسك محل الابنة المعززة...أماهو...

تكفات : سليل الخلفاء الكابرين من بنى « أمية » .. أمير له نسبه وحسبه .

رواح : (يشتد بها النشيج) أعلم حق العلم مابينى وبين الأمير من تفاوت... ولكن ياسيدتى « تكفات »...

تتدانى منها « تكفات » فتحنو عليها فتجنح «رواح» إلى صدرها ، منخرطة فى البكاء ، فتحضنها « تكفات » وتربت صدرها

تكفات : حسبنا يابنية أن نسهر على راحة الأمير ، وأن نوفر له دواعى الطمأنينة ، فى تلك الدار الخربة التى اتخذها مخبأ ومأوى . . . إن حياته محفوفة بالأهوال . . .

رواح : (فى تحمس) قسما لو طلبوا حياتى فداء له ، لبذلتها راضية قريرة العين . . .

تكفات : إن « ابن حبيب » أمير « إفريقية » لا يأبه لحياتك أنت يا « رواح » . . . إنما همه أن يظفر بأميرنا « عبد الرحمن » . . . .

تتناها إليهما خفقات قدم تلتفتا ن .

تكفات : من ؟

رواح : سيدى « ونسوس » .

تكفات : زوجى ؟ . . .

يبدو « ونسوس » فتقدم « تكفات » للقائه ، مهتاجة ، الخاطر ، تسأله :

هل من جديد ؟

ونسوس : تأكد لى ذلك النبأ المشئوم ... لقد أرصد « ابن حبيب » حقا جائزة سنية لمن يأتى له برأس « عبد الرحمن » ...

« رواح » تخفى وجهها بين يديها ، من سوء ماسمعت . . . .

تكفات : (فى غضب) خيب الله فأل « ابن حبيب » وأرانا

رأسه معلقا بباب قصره . . .

ونسوس : ألم يعد الأمير ؟

تكفات : لم يعد بعد ، كشأنه كل ليلة . . .

ونسوس : خليق به أن يلزم الدار . . . العيون مبثوثة فى كل ناحية . . .

رواح : إنه يضيق بمحبسه طول النهار ، فلا يملك إلا أن يخرج فى الليل ليتنسم هواء البحر . . .

تكفات : وإنه ليتطلع إلى البحر فى شغف ، عله يرى ظلا لمركب تابعه « بدر » . . .

ونسوس : (عاقدا يديه خلف ظهره ، فى جيئة وذهوب) : ليس هنالك من ظل « لبدر » أو لمركب « بدر » . . . ما أعجب أمر هذا المولى الخامل الكسلان . . . كيف يبطىء عنا كل هذا الإبطاء ؟ خمسة شهور منذ بارحنا وها نحن أولاء ننتظر أخباره على أحر من الجمر .

تكفات : لقد استمرأ حياة الترف هنالك ، فالهاه ذلك عن مهمته . . . أرفده الأمير إلى « الأندلس » ليتعرف له الأخبار ، ويمهد له سبيل الرحيل . . .

ونسوس : (يفكر ويهمهم) وما يدرينا ؟ . . . أخشى أن يكون قد لقى حتفه . .

« ميمون » الغلام يقدم مبهور الأنفاس .

فيستجوبه ونسوس . . . .

« ميمون » . . . ما وراءك ؟

ميمون : أنباء لا تسر . . .

رواح : (مغمغمة) تبا لك يا طائر الشؤم . . .

تكفات : قل يا « ميمون » . . .

« ميمون » يسقط على الأرض من الاعياء

ميمون : شربة ماء . . . شربة ماء . . .

« رواح » تجلب له قدحا ، فيعب ما فيه عبا .

ونسوس : مابك يا « ميمون » ؟

ميمون : قدمت من المدينة أعدو على التو . . .

تكفات : من المدينة ؟

ميمون : حيث بعث بى سيدى « ونسوس » ، أتصيد أحاديث القوم فى جُنح الليل . . .

ونسوس : وماذا تصيدت من أنباء ؟

تكفات : قل . . . عجل . . .

ميمون : أنباء بالغة السوء . . .

رواح : (متفزعة) يا لله !

ونسوس : تكلم يافتى . . .

ميمون : الأمير « عبد الرحمن » . . .

الجمع : (مذعورين) ماله ؟

ميمون : (فى عويل) قبضوا عليه . .

« رواح » تكاد تتهالك على الأرض ، فتسند جسمها إلى الحائط .

ونسوس : أواثق أنت مما تقول ؟

ميمون : بعينى رأسى رأيته . . . فى زقاق من أزقة « سبتة » محدقا به الجند ، مسوقا إلى دار الإمارة . . .

تكفات : يا للنكبة . . . يا للضيعة . . .

رواح : (باكية ، عالية الصوت) هذا وهم . . . هذا كذب !

يرى « عبد الرحمن » ملثما ، قد انسدلت حاشية عمامته على عينه اليسرى ، ولا يلبث أن يلقى عنه وشاحه ، وينزع لثامه .

تكفات : الأمير ... الأمير ...

ونسوس : « هو هذا . . . إى والله ! »

ميمون : (مخنوق الصوت ، مرتعش النبرات) وربى لقد شهدته فى « سبتة » وقد أحدق به الجند ...

« ونسوس » يجتذب سوطا معلقا على الجدار ، ويرفعه فى وجه « ميمون » ، موشكا أن يهوى به على جسده ، فيمنعه الأمير « عبد الرحمن » . . . .

عبدالرحمن : خل عن «ميمون» ... إنه صادق فيما أخبر به ... لقد

أخذ الجند من حسبوه « عبدالرحمن » ... إنهم لا
يلمحون أحدا تقع عليه شبهة إلا قبضوا عليه . . .
لست أدرى فيم هذا العنت والاضطهاد ؟... لا أنا
بطامع فى إمارة أوملك، ولا أنا مضمر لأحدمن شر !

رواح : (فى اهتياج) كنت واثقة أنهم لن يستطيعوا أن
ينالوك بسوء . . .

عبد الرحمن : ومامبعث هذه الثقة يا « رواح » ؟ . . .

رواح : (متحمسة) أنت يامولاى لست كسائر الناس ...

عبد الرحمن : (مبتسما ، يحدق إليها) وماذا أكون إذن ؟

رواح : (مسبلة جفنيها ، تهمهم) أنت نسيج وحدك . . .
إنك معوّذ !

عبد الرحمن : (يقهقه) معوّذ ... وأين مكان التعويذة منى ؟ إنى
لا أحمل شيئا من الأحجبة أو طلاسم السحر !

رواح : (رافعة البصر ، جهيرة الصوت) ورب البيت
إنك لمعوذ . . .

ونسوس : « هو هذا . . . إى والله ! »

عبد الرحمن : وأنت أيضا ترى أنى معوذ ؟

ونسوس : أنسيت يامولاى قول « مسلمة بن عبدالملك » فيك ،
لقد قال لجدك « هشام » ، وأنت يومئذ طفل ...

عبد الرحمن : أعد عليّ قولته يا « ونسوس » . . .

ونسوس : قال « مسلمة » مشيرا إليك ، هو هــذا . . . إى والله » : « سوف يتدانى له الأمر ، وقد عرفت العلامات والأمارات فى وجهه وعنقه » .

عبد الرحمن : ليس ثمــة من علامات ولا أمارات .. طالما استوضحتها فى وجهى وفى عنقى فلم أعثر لها على أثر .

تكفات : (فى جد) ولكنها لم تغب عن « مسلمة » . . . إنه رجل ألمعى ذو فراسة وفطنة .

عبد الرحمن : وبماذا تؤوّلون قولته ؟

ونسوس : ليكون لك شأن أى شأن .

عبد الرحمن : (مناجيا نفسه) أى شأن تعنون ؟ غاية ما أصبو إليه مقام طيب أمين ، أنجو فيه مما يلاحقنا به العباسيون من نكبات ، ولكنى لا أجد إلا المكاره تحيق بى . . . الأمراء يوجسون خيفة منى ، ويتربصون بى ، وجنودهم يقفون لى بكل مرصد . . .

ينحو نحــو المستشرف ، فيلقى بنظرة على البحر ، ثم يحدبصره ، مشيرا إلى الأفق ، قائلا فى حيــة . . . . . .

أليس هذا شراع مركب ؟ . . . انظروا . . .

الجمع يتزاحمون على المستشرف ،
أبصارهم شاخصة . . . .

تكفات : أين الشراع ؟ لا أبصر من شيء .

ونسوس : لعلها موجة تعلو . . .

عبد الرحمن : (لرواح) انظرى أنت . . . حدقى . . . فإن لك عين الصقر . . .

رواح : (تغمغم) لاموجة ولا شراع . .

«ونسوس» و «تكفات» يتبادلان النظر ،
فيرفع «ونسوس» إصبعه إلى جفنه يشير
إلى أن «عبد الرحمن» مكفوف العين اليسرى .

عبد الرحمن : لعل الشراع قد اختفى . . . لقـــد رأيت شيئا كالشراع . . . ما من ذلك بد . . .

يدبر عن المستشرف ، وهو يتحسس
عينه اليسرى خلسة ، وقد انسدلت
عليها حاشية عمامته . . . .
يخطو بضع خطوات ، وهو يهمهم :

لم يعد « بدر » بعد . . . ويحه من مولى فاتر الهمة كسول . . .

يتابع خطاه

صوت : (من خارج) ياعالم الغيب . . . يامسير الأقدار . . .

« عبد الرحمن » ينصت
الصوت يردد قوله .

ونسوس : هذا «منارة» . . . الرجل المجذوب . . .

تكفات : المنجم ؟

رواح : الساحر ؟

عبد الرحمن : سمعت عنه حكايات لاتخلو من طرافة .

ونسوس : إنه جواب آفاق ، لا يقرّ له قرار .

تكفات : يزعم أنه شهد فتح «الأندلس» ، وأنه كان فى جند «طارق» . . .

منارة : (من خارج) يا عالم الغيب ، يامسير الأقدار . . .

الريح تزف

تكفات : سبحان عالم الغيب ، ومسير الأقدار . . .

عبد الرحمن : (مفكرا ، يجمجم) الغيب ! . . . الأقدار !

ونسوس : ألا تؤمن بسلطان المقادير يامولاى ؟

«عبد الرحمن» صامت عليه سهوم .

«ونسوس» يتابع قوله . . . . .

المقادير هى التى ضمنت لك السلامة ، يوم سبحت بالفرات هربا وجنود العباسيين يطلبونك ، ويحاولون الظفر بك ، حتى انتهى بك المهرَب إلى هذه البقعة من «إفريقية» ، بعد أن اجتزت صحراء الشام ، ومرقت من مصر ولوبيا وتونس .

« عبدالرحمن » يطوف ببصره فى الجمع .

عبد الرحمن : (لميمون) اذهب يا « ميمون » فأتنا « بمنارة » ...

« ميمون » ينصرف

رواح : أخشى أن يكون من عيون الأمير « ابن حبيب » .

عبد الرحمن : إنكم تؤمنون بالمقادير ... إذن فدعوا المقادير تجرى فى أعنتها !

يتدانى من المستشرف ، مرسلا نظراته إلى البحر ، وهو يهمهم .....

« بدر » ... « الأندلس » ....

ونسوس : ستتحقق رغبتك فى الرحيل ، وستجد فى « الأندلس » كل ما ترجوه من دعة وأمان ...

« رواح » تنصرف

عبد الرحمن : إن موالينا هناك كثير ... لقد أصبحوا ذوى حول وطول ، لهم عزة ومَنَـعة ...

ونسوس : ولا تنس تراث جدك « هشام » من الضِّياع والعقار ... إنه هنالك حق لك لا ينازعك فيه منازع .

عبد الرحمن : (مصدقا) نعم ...

يصمت لحظة

الرحيل ... الرحيل ... لم يعد لى مقام هنا فى

« إفريقية » . . . لقد فقدت العون والناصر ، حتى أخوالى البربر من ذوى قرابة أمى لم يشدوا أزرى .

ونسوس : البربر . . . ما أبين عذرهم فى القعود عن نصرتك ، وتوفير الأمن لك . . . إن شملهم شتيت ، وإنهم لايرجعون فى أمرهم إلى زعيم ، ولا قبل لهم بسطوة أمير البلاد « ابن حبيب » .

عبد الرحمن : لك أن تدافع ماشئت عن عشيرتك يا « ونسوس » ، ولكن ليس لك أن تدافع عن موقف أخوالى منى ، إذ تخلّوا عنى ... إن مكانهم منى قريب فى جنوب المدينة ، بيد أنى لا أجد منهم نجدة ، فهم لا يبالون بى ، هلكت أو نجوت !

« ميمون » يقدم ، مصطحبا « منارة » ، وهو رجل طلو الوجه ، أبيض اللحية ، متوكىء على عصاه ...

ونسوس : (وقد مال على « ميمون » يسر إليه قوله) خذ مكانك فى العلِّيّة ، وراقب الطريق .

« ميمون » ينصرف . « منارة » يقصد الى « عبد الرحمن » فى خطا وئيدة ، ثم يقف قبالته ، محدقا إليه هنيهة . . .

منارة : (وهو يبتسم) سلام على الأمير « عبد الرحمن » ...

عبد الرحمن . (معابثا) ومن أوهمك أنى « عبد الرحمن » ؟

منارة . أنا « منارة » أيها الأمير ...لى نظرة ثاقبة تكشف الحجب . . . سلام على الأمير « عبد الرحمن » ... الأمير الأموى الهُمَام !

عبد الرحمن : (مدهوشا) وعليك السلام يا « منارة » . . .

منارة : لأى أمر دعوتمونى أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : لنسألك عن نفسك ، ماذا تصنع فى دنياك ؟

منارة : أعيش تارة مع الأحياء ، وتارة مع الأطياف والأرواح . . . طورا تمس قدمى أديم الأرض ، وطورا أعلو بهامتى إلى أوطان النجوم فى أبراج السماء .

عبد الرحمن : وما شأنك بالأطياف والأرواح ، وبأوطان النجوم فى أبراج السماء ؟

منارة : أتعلم التنجيم ، لكى أستشف الغيوب ، وأعرف طوالع الأمور . . .

« رواح » تقبل حاملة صينية بها صحاف الطعام

عبد الرحمن : ماهذا يا « رواح » ؟

رواح : قليل من الطعام تتصبح به يامولاى .

عبد الرحمن : أحسنت !

«رواج» تدنو من «عبد الرحمن»
فتضع الصينية بين يديه . . . . . .
«عبد الرحمن» يقول «لمنارة»: . .

صناعة التنجيم . . . ما أضلها من صناعة !

منارة : حسبي منها أنها تنيلني لقمة العيش .

عبد الرحمن : أ كلُّ ما ينيل لقمة العيش سائغ مقبول ، ولوكان الخسيس المرذول ؟!

منارة : الخسيس المرذول أن أبيت على الطوَى أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : هذا حق . . .

منارة : هل تسمع لى أيها الأمير ؟ . . . ليس ثمة من شيء مرذول أو مقبول . . . هنالك شيء واحد لا ثانى له . . . أن نبلغ الغرض الذي نسعى إليه ، بأية وسيلة تكون .

ونسوس : بأية وسيلة تكون ؟ يا قبحها من خطة يدين بها المرء الكريم . . .

منارة : أقبح منها أن يخفق المسعى ، ويذهب الجهد سدى . . .

عبد الرحمن : أحكيم أنت يا «منارة» أم رجل من المتكالبين على الدنيا ؟

منارة : كما تريدنى أن أكون أيها الأمير . . . فإنى على وفق

... ما تقتضيه ملابسات الحياة ...

زفيف الرياح يشتد ....
« عبد الرحمن » يتدانى من « منارة »
محلقا فيه ....

عبد الرحمن : أتحسن التنجيم يا « منارة » ؟ ...

منارة : جربنى تر العجب ...

عبد الرحمن : حديث المنجمين هراء ، وإنما علمهم من وحى الشيطان ...

منارة : ليس المنجمون سواء .

عبد الرحمن : لقد زعم أحدهم لأمير البلاد هنا أنى قدمت « إفريقية » لكى أزيله عن كرسيه ، وأفتك به . ويعلم الله ما قدمت إلا لكى أبتغى لنفسى حياة أمن وسلام .

منارة : دعنى أنظر طالعك ... لست كهؤلاء المنجمين الأفاكين ....

ونسوس : فليأذن له الأمير فى أن ينظر الطالع ... فما فى ذلك ضير .

... « عبد الرحمن » يمد يده إلى المنينية
فيتناول مضغة ....

عبد الرحمن : (لمنارة فى استخفاف) ما بدا لك فافعل ...

منارة : (وهو يرقب «عبد الرحمن» يلوك مضغته) لا أستطيع أن أتنجم وبطنى خواء ... ألا يعلم الأمير أن الطعام يضرم فى الرأس نار الفطنة والذكاء ؟

ونسوس : إن الطعام إذا ملأ المعدة طمس الذهن وعطل الفكر ...

منارة : هذا منطق الأثرياء من أمثالك البخلاء !

«عبدالرحمن» يقدم له صحفة من الطعام فيغترف منها ويملأ شدقيه ....

ونسوس : يالك من شره لا تقنع ..

منارة : (والطعام فى فمه) القناعة شر ... إياك أن تركن إليها أبدا ...

يزدرد الطعام على عجل ، ويتقدم من «عبد الرحمن» قائلا له : .....

ابسط لى كفك ...

«عبد الرحمن» يمد إليه يده .....
«منارة» يتأمل أسرار الكف ، ثم يقول : ....

لست واجدا مأواك هنا ، إنما المأوى هنا لك ...

يطيل التفرس فى الكف وهو صامت

تكفات : ألا ترى شبح مركب يأتى من « الأندلس » ؟

منارة : مالى وللمركب ؟

العاصفة تزمجر . . . .

« منارة » يتابع قوله . . . .

هنا غيوم ... ظلمات ... أعاصير...وهنالك المقر !

عبد الرحمن : أمقدور لى أن أعيش فى أمن وسلام ؟

منارة : (وقد رفع هامته) لا تفتأ تدير علـــى لسانك هذا الـكلام !

يتفرس فى الـكف ، ويتابع قوله . .

الأرض تميد تحت قدميك .

تكفات : أثمة خطر يحيق بالأمير ؟

منارة : (لعبد الرحمن) الخطر جاثم أبدا حواليه ، حائق دائما به ، إنه جزء من حياته لا يزول ولا يحول ... الموت منه يقترب !

«ونسوس» و «تكفات» فزعان ،

«رواح» تخبأ وجهها بين يديها من الجزع .

«عبدالرحمن» مبتسم لا يبدو عليه روع .

« منارة » واصل قوله : . . . . .

حقا . . . الموت يقترب . . . ثم يبتعد . . . ثم يعود . . .

عبد الرحمن : (مقهقها ، يجذب كفه من يد منارة ») وما الحديد فيما تقول ؟ نحن دائما مع الموت فى جزر ومدّ . . .

تـكفات : (لمنارة) أنت لا تستأهل ما التهمت من طعام . . .

منارة : أتستكثرين على لقيمات لا تسمن ولا تغنى من جوع؟

تـكفات : ويحك من شره منهوم .

مناره : أنا ؟ ها أنذا ضامر البطن ، ليس لى مالكَ من كَرِش . . .

« تـكفات » ترفع يدها فى وجهه «
فينحرف عنها ، ويواصل قوله : «

لكأن هذه الكرش العظيمة تحوى توأمين ، ولكأن التوأمين يتضاربان ، يحاول كل منهما أن يسبق أخاه إلى الخروج !

«تكفات» تهدده بيدها ، فيحتمى منها
خلف «عبد الرحمن ». . . . .

عبد الرحمن : (مقهقها) حقا يا « تكفات » . . . صدق «منارة» . . .
لكأنك تحملين توأمين . . .

تـكفات : (متأففة) مولاى !

« ميمون يحضر مذعورا أشد الذعر.»

ميمون : الشرطيون مقبلون على الدار ، وقد أحكمت إغلاق الباب

الجمع : (يضطربون ويهمهمون) رجال الشرطة . . . رجال الشرطة . . .

« منارة » واجم لا يتحرك . . . .
« عبد الرحمن » يتوسط القاعة ، ثم يهرع فجأة إلى ناحية منها ويخرج سيفا أخفاه في احدى الزوايا ثم يسل السيف ليدافع عن نفسه. ولكن فكرة تسنح في خاطره فيعيد السيف إلى مكانه . . . .
باب الدار يقرع بشدة . . . . . .
« عبد الرحمن » يلوح عليه أن فكرة لمعت في رأسه . . . .

عبد الرحمن : (لونسوس) استعد لتفتح الباب لهم .

ونسوس : مولاى !

عبد الرحمن : أصغ لما أقول ، وافهم ما أعنى .

ونسوس : إن جوارحى كلها آذان صاغية لك .

عبد الرحمن : يجب عليك أن تعلم أن زوجك حامل . . .

ونسوس : « تسكفات » حامل ؟ . . . كيف ؟

الباب يقرع . . . .
الريح تزف . . . .

« ونسوس» و« تكفات» يتداولان
النظر فى حيرة ودهشة . . . .

عبد الرحمن : نعم . . . « تكفات » حامل . . . على وشك أن تضع !

دق الباب يشتد . . . .

عبد الرحمن : (لونسوس) كل ما أطلب اليك فهمه أن
لتصرف فى الأمر على أن زوجك حامل وترتقب
ساعة المخاض . . . أعرفت ؟

أصوات : (من خارج) افتحوا . . . افتحوا وإلا حطمنا
الباب .

« ميمون » يتصرف .
«عبد الرحمن» يجتذب وشاحه فيجعله
إزارا «لتكفات» يستر ما بين ساقيها،
ثم يجلسها على مقعد فى زاوية من القاعة،
ويقول لها :

مكانك لا تبرحيه . . . ولتتوجعى مما يأخذك
من المخاض . . .

« تكفات » تجلس طائعة لا تنبس، وقد
ملكتها الحيرة . . . .
« عبد الرحمن » يلتفت إلى « رواح »
فيقول لها : . . . .

وأنت القائمة على رعاية الحامل . . . لا تنسى أن

تبردى رأسها بالماء . . .

« رواح » تجاب إناء فيه ماء ، وتجلس
بجوار « تسكفات » . . . .

عبد الرحمن : (لونسوس) اذهب فافتح الباب .

« عبد الرحمن » ينظر إلى « منارة »
قائلا له : . . . .

وأنت ؟

منارة : (على الفور) أنا المتمتم على رأس الحامل بالعزائم
والرُّقَى ، حتى ييسر لها الله أن تضع . . . ولكن
أنت ... أنت . . .

عبد الرحمن : أنا ؟ . . . أنا الجنين !

« عبد الرحمن » يقلص إزار « تسكفات »
فى غير مبالاة ، وينكمش بين قدميها
متواريا تحت الشباب . . . .
صاحب الشرطة يقتحم القاعة فى شرذمة
من أعوانه ، وقد أحاطوا « بونسوس »
و « ميمون » . . . .

صاحب الشرطة : (للعريف الجند ، مشيرا إلى « ونسوس » و « ميمون ») :
أوثقهما واطرحهما بجوار الباب .

العريف : أمر سيدى مطاع .

« ونسوس » و « ميمون » توثق أيديهما

وأرجلهما ويطرحان أرضا عند الباب .

صاحب الشرطة : (للعريف) انفض الدار نفضا ، ولا تدع فيها شبرا إلا فتشته ... إياك أن يفلت من يدك الأموى الهارب . أسامع أنت ؟

العريف : أمر سيدى مطاع .

ينصرف فى ثلة من الجند . . . . . .
صاحب الشرطة يذرع القاعة مع بقية الجند باحثين . . . .
يقف تجاه «تكفات» محدقا اليها بعين تقدح الشرر . . . .
«تكفات» تتوجع كأنما ضربها الطلق ، وعلى جبينها يتصبب العرق من الخوف
«رواح» تمسح وجه «تكفات» بخرقة مبللة . . . .

صاحب الشرطة : (ملتفتا إلى «ونسوس») ماذا فى الأمر ؟

ونسوس : أما أعلمتُك ياسيدى أن زوجى حامل، على وشك الوضع ؟

رواح : (وهى منهمكة تنضح جبين «تكفات» بالماء) لاريب فى أنها ولادة عسرة !

تكفات : آه . . . آه . . .

صاحب الشرطة يتفحصها على مقربة، فيقمع

بصره على « منارة » وبين يديه مجمرة يتراءى عليها الرماد ، فيقصد اليه . .

صاحب الشرطة : (لمنارة) ما أتى بك هنا يا « منارة » ؟

منارة : المقادير يا سيدى . . .

صاحب الشرطة : أرأيت « عبد الرحمن » ؟ . . . إياك أن تكتم الشهادة . . .

منارة : أى شهادة أكتم يا سيدى ؟ . . . لقد دعيت إلى هذه الحامل التى تعسرت ولادتها ، لأعينها على أمرها بالعزائم والرقى .

صاحب الشرطة : ألست تعلم أنك فى دار « عبد الرحمن الأموى » ؟ . . .

منارة : وما شأنى بأن أعلم هذا أو أجهله ؟ !

ونسوبس : (لصاحب الشرطة) الدار دارى وحقك ، ولا علم لى بمكان « عبد الرحمن » . . .

صاحب الشرطة : كذبت وايم الله . . . لقد رُئِىَ « عبد الرحمن » يدخل هذه الدار ، فهو فيها لم يبرح . . . وإنك ملاق حسابك أعسر حساب ، وعقابك أشد عقاب .

يهجم على « منارة » بغتة ، ويطرحه أرضا ثم يظل رقبته بالسيف ، ويقول له :

إنى قاتلك لا محالة . . . أقر بمكان « عبد الرحمن » . . .

منارة : غوثك ياإله العالمين . . . غوثك ياإله العالمين . . .

صاحب الشرطة: إذا لم تقر من فورك ، فإني ضارب عنقك . . .

تحس في هذه اللحظة حركة واضحة من ناحية « تكفات » . . . .
ينتبه صاحب الشرطة فيتجه إلى « تكفات » ويمثل أمامها متفحصا إياها يحاصر عينة الخوف يملك « تكفات » فيتقاطر من جبينها العرق ، فتعمد « رواح » إليه تمسحه منهمكة وقد ملأ نفسها الذعر .
صاحب الشرطة يرتاب في الأمر ، فيتقدم خطوة ويمس بسيفه وشاح « تكفات » يريد أن يرفعه . . . .

منارة : (صائحا) من كشف ستر الحوامل كشف الله ستره يوم الدين !

صاحب الشرطة: لأقطعن لسانك ياشيخ السوء !

منارة : لأسلطن عليك الجن يافاضح النساء في خدورهن . . .

يضرب الأرض بقدميه ، وهو يتمتم :
أهيا ، شراهيا ، أدوناي ، أصباوت ، أل شداي ، جليا سريعا ، قدوس سبوح ، رب الملائكة والروح !

يأخذ بين أنامله قليلا من البخور ، فيلقى
فى المجمرة به فتسمع له فرقعة على النار،
وترتفع منه سحائب الدخان . . . . .
الجو يعصف بغتة ، فيقصف الرعد ،
ويلمع البرق . . . .
« منارة » منخرط فى عزائمه ورقاه، يردد
فى لهجة راعبة كلماته السالفة . . . . .

صاحب الشرطة: (متجلدا ، وقد بصق فى وجه « منارة ») إلى جهنم أنت وجنك وعفاريتك !

تدركه خشية وإشفاق ، فيتراجع عن
« تـكفات » . . . .
عريف الجند يقدم مضطربا بما يرى ويسمع

العريف : (لصاحب الشرطة) لا أحد فى الدار ياسيدى ...

صاحب الشرطة: كيف ؟

العريف : لا أثر للأموى البتة ... لعلنا أخطأنا الدار ...

صاحب الشرطة: (صائحاً) فلنمض إذن إلى الدور المجاورة ... عسى أن نظفر به .

ينصرف ، فيتبعه الأعوان ، ومن ورائهم
« رواح » . يسمع صرير باب يغلق . .
«رواح» تعود إلى القاعة، فتشمر الوشاح
وتنظر . . . .

رواح : (لعبد الرحمن) لقد أدبروا عن الدار يامولاى ...

« عبد الرحمن » يخرج من تحت « تسكفات »
فتنهض متثاقلة ، ورأسها يدور . . .
« رواج » تقصد الى « ونسوس » و
« ميمون » فتفك عنهما الوثاق . . .
ينهضان وقد بلغ بهما الأعياء كل مبلغ .
« ميمون » ينصرف . . . .

منارة : (يهمهم فى صوت أجش) لقد ابتعد ... ابتعد ...

يتدانى من « عبد الرحمن » وهو مستلق
مبهور الأنفاس ، فيتابع له قوله :

ابتعد الموت ... أما قلت لك إنه يقترب ، ثم يبتعد؟

ونسوس : حقا إنها لمعجزة . . .

ينظر إلى « عبد الرحمن » قائلا له :

الله حافظك . . . الله حارسك .

منارة : هى المقادير . . .

« رواج » رانية الى « عبد الرحمن » فى
توله ، كأنها عابد ينظر الى معبود . . .

عبد الرحمن : (وقد ملأته ثقة وعزم ، يقول « لمناره » .)
لماذا لم تكشف أمرى ، فتصيب جائزة « ابن
حبيب » لمن يدل على ؟

« منارة » صامت ، يداه تعبثان برماد المجمرة
« عبد الرحمن » يواصل قوله . . . .

اصدقني ، لماذا لم تكشف أمري ؟ ماذا يزهدك في الجائزة ، وإنها لجديرة أن تغري مثلك ؟

منارة : (وقد علا بهامته) والله لقد هممت أن أفعل ...

عبد الرحمن : وماذا أبطأ بك ؟

منارة : لا أدري أي شيء اعتقل لساني ، فلم أطق أن أبوح بمكانك ...

رواخ : (صائحة ، وعيناها معلقتان « بعبد الرحمن ») إنه القدر ...

عبد الرحمن : (مصدقا ، وكأنه يسأل) القدر ؟ ! القدر ؟ !

ونسوس : إنك حقا رجل الأقدار ... لقد اختارتك لأمر عظيم !

عبد الرحمن : (وقد نهض في وسط القاعة ، وتراءت عليه علائم السطوة والحماسة ، يجهر بقوله) إني لأذكر الآن تلك الساعة التي كنت فيها على ضفة الفرات ، وفرسان بني العباس تلاحقني أنا وأخي ، فإذا أنا أنجو من أيديهم بأعجوبة ، على حين كان أخي عاثر الحظ ، فناشته السيوف على مرأى مني ... واليوم يحدق بي رجال « ابن حبيب » فيطمس الله أعينهم عني ، فيخطئون مكاني ... وقعت

لأعجوبة مرة ثانية . . . أيقنت أن القدَرَ كان فى عونى ، يعصمنى من الخطر الداهم ، ويحمينى من السيف المسلول . . . ولكن الغد . . . ماذا يحمل لى القدر في غدى ؟ !

«ميمون» يهرول إلى القاعة متهلل الوجه .

ميمون : مولاى . . . قَدِمَ « بدر » من « الأندلس » . . .

ونسوس : الله أكبر !

منارة : هذه طوالع الغد . . . هذه تباشير نهاره !

يظهر «بدر» فى بزة السفر ، أشعث أغبر

عبد الرحمن : (عالى الصوت) « بدر » . . .

بدر : هأنذا . . . .

« عبد الرحمن » يقبل عليه فيحتضنه

« بدر » يقول « لعبد الرحمن » . . .

مولاى . . . سيدى . . . أميرى . . .

« ميمون » ينصرف الى العلية ، ليرقب الطريق . . . .

عبد الرحمن : (فى تشوف) ما عندك من نبأ ؟ قـــل . . . عجـــل . . .

بدر : كل الخير يامولاى ... أنصارك كثير . . . أقسموا لك يمين الولاء ، وإنهم ليرتقبون مقدمك على شوق .

عبد الرحمن : كنت واثقا أن الأمر كما تصف .

« ميمون » يرجع الى القاعة . . . . .

ميمون : رأيت الشرطيين يحومون حول الدار .

عبد الرحمن : ليست وجهتهم دارنا . . .

يقول « لبدر » : . . . .

إنا راحلون الساعة إلى « الأندلس » ...

« رواح » تنظر الى « عبد الرحمن »

بدر : (فى دهشة وحيرة) الساعة يامولاى ؟

عبد الرحمن : الساعة .. اللحظة . . .

يقبل على « ونسوس » و « تكفات » و « رواح » و « ميمون » قائلا لهم . .

عزيز على نفسى أن أفارقكم اليوم ... لقد كنتم لى عونا أى عون...لا أنسى صنيعكم بى ما حييت ... هلموا فأعدوا لى عدة الرحيل . . .

ينصرف الجمع ، فلا يبقى فى القاعة الا « عبد الرحمن » و « منارة » . . .

« عبد الرحمن » متأهب للخروج . . .

منارة : (رافعا يده إلى «عبدالرحمن») خذنى معك . . .

عبد الرحمن : أنت إلى « الأندلس » ؟

منارة : نعم . . . أصاحبك . . .

عبد الرحمن : ولماذا آخذك معى ؟

منارة : ربما أفدتك . . .

عبد الرحمن : خير لك أن تبق حيث أنت . . .

منارة : لعلك تحتاج أن أنظر لك طالعك ...

عبد الرحمن : لقد عرفت طالعى . . .

منارة : وما هو ؟

عبد الرحمن : قدر يدفع بى إلى الأمام ، لا يستطيع أن يرده أحد ، وعناية من الله تحمينى أن ينالنى مكروه . . .

يتهيأ للمضى . . . .
« رواح » وقد عادت متسللة إلى القاعة
وسمعت طرفا من هذا الحوار . تتقدم
من «عبد الرحمن» فى خطوات رفيقة .
وعيناها موصولتان به كأنهما مسحورتان

رواح : أفى غنية أنت عن خادم تُعْنَى براحتك ؟

عبد الرحمن : تريدين أن تصاحبينى ؟

رواح : (فى ضراعة) هذا مطمح نفسى ... خذنى معك ...

تهبط على قدميه . وتمسك بهما متوسلة
« عبد الرحمن » ينهضها . . . .

عبد الرحمن : (وهو يتوسم « رواح ») أنت صغيرة يا «رواح»
ولكن الفتنة تستيقظ فيك . . . إن شُغلتُ بك
ظلمت همتى ، وإن شغلت بهمتى عنك ظلمتك . . .
لا أصطحبك يا « رواح » !

يتقلد الوشاح. يقف وقفة المنتصر . . .
يتقدم « منارة » إلى المخبأ الذى أخفى فيه
« عبد الرحمن » سيفه ويخرجه فيقدمه الى
« عبد الرحمن » . . . .
«عبد الرحمن» منحياالسيف عنه، يقول :

لست فى حاجة إليه ، آمنت بأن حظى فى صعود !

منارة : ربما التقينا . . .

عبد الرحمن : هيهات . . . فالشقة بعيدة . . .

يتلثم . . . يرخى حاشية العمامة على عينه
اليسرى ويمضى نحو الباب ، ثابت الخطو .

منارة : عسى أن يتيسر اللقاء ، وإن بعدت بيننا الشقة . . .
من يدرى ؟

عبد الرحمن : حقاً من يدرى . . . ! إنها الأقدار . . .

« منارة » و « رواح » يتبادلان
النظرات . . . .
« رواح » تهرع إلى (منارة) فتسند
رأسها إلى صدره ، وقد استبدت بها
سورة من نحيب . . . .

الفصل الثاني

بعد شهر من حوادث الفصل الأول .
قرية من أعمال الجزيرة الخضراء في
جنوب «الأندلس» تسمى «طرش».
قصر «لعبد الله عثمان» يتخذه
حصنا له ، فيه يجتمع جنوده وأعوانه .
«سحر» الجارية في ردهة القصر تتلفت
حذرة . . . .

سحر : ليس هنا من أحد . . .

تمد ذراعها ، وتضم أصابعها مرتين
تستدعي شخصين . . . .
«فجر» و «ضحى» الجاريتان تبدوان .
«سحر» تستأنف قولها . . . . . .

الردهة خالية ، فلنغتنم الفرصة ، ولنتحدث هنيهة في
أمان . . . إيه يا «فجر» . . . إيه يا «ضحى» . . .

فجر : لا جديد في الأمر يا «سحر» . . . مازلنا في شدة وضيق . . .
جو خانق يأخذ بالأنفاس . . . ماذا بعد هـذه الحياة

الصارمة التى نحياها على قلق . . .

تمتد أبصارهن إلى نمارق وحشايا وثيرة ،
على بسط وسجادات فاخرة . . . . .
يتجهن إليها . ويرتمين عليها . . . .

ضحى : ما أنعم هذه النمارق والحشايا ... شد ما تمنيت أن أحظى بضجعة عليها !

تتقلب مستمتعة . . . .

فجر : حقا لقد أصبحت حياتنا فى هذا القصر لا تطاق . . .

سحر . أقصر هو ؟ أين ما فيه من مباهج القصور ؟ بُعداله من حصن كريه ، كله جهامة وعبوس !

ضحى : إنه ثكنة . . . أهلها جند، وزوارها أمراء الجيش !

سحر : من يقول إننا فى أزهى بقاع الأندلس: الجزيرة الخضراء؟

فجر : من يقول إننا من جوارى « ابن عثمان » عظيم بنى أمية ؟

ضحى : عظيم... ليس من عظيم فيه الا كرشه المباركة . . . إن هذه الكرش المبجلة تسبقه دائما لتفسح له الطريق . . .

فجر : ما أشبهه عنـــدى بغراب منتفخ الأوداج ، يحجل على الأسوار ، ويملأ الحصن بنعيقه البغيض .

تسير خطوات، وهى تحاكى مشية « ابن عثمان » وتتكلم مصطنعة لهجته فى الحديث

يا غلام . . . على بسيفي و مِغْفري . . .

« سحر » و « فجر » تتضاحكان . . .

سحر : وأميرة القصور أخته ؟

فجر : نمِرَة شرساء ، فى إهاب هِرَّة لينة الملمس، يكاد النسيم يجرح خدها الأسيل . . .

تحاكى « أميرة القصور » فى الخطو والتحدث

أنشقينى عطرا ياجارية ... ابسطى على الخمار ياجارية ...

« سحر » و « فجر » تتضاحكان . . .

ضحى : ماذا أفدنا من المقام فى هذا المكان ؟ بأى شيء حظينا من « ابن عثمان » ؟ هل أنِسَ ليلة بجارية من جواريه ؟ هل ابتسم لواحدة منا فى روحة أو غدوة ؟ إنه مصروف عنا ، لا يكاد يولينا لمحة عطف أو اهتمام . لقد شغله ضيفه نزيل القصر الأمير « عبد الرحمن الأموى » . فهو يمهد له الأمر العظيم . . . إمارة « الأندلس » .

« سحر » تحدج « ضحى » بنظرة لها مغزى

سحر : (متأوهة فى سخرية) واها للقلب من هذا الأمير . . .

« ضحى » تقذفها باحدى الحشايا . . . .

« سحر » تتابع قولها : . . . .

أتنكرين أنك تتنهدين كلما لمحت الأمير «عبد الرحمن» ؟

ضحى : أتنهد إشفاقا عليه مما يتعرض له من الأخطار ...
وسامة ، ونبل ... حقا ما أبْيَنَ الإمارة فى طلعته ،
وما أجدره بحكم «الأندلس» .

فجر : (متضاحكة) ماذا يا «ضحى» ؟ أحقا ترمقين الأمير
بنظرة هيام ؟

ضحى : مالى وللأمير ؟

سحر : «أميرة القصور» أخت «ابن عثمان» مشغوفة به ...

ضحى : ربما كان ذلك حقا ...

سحر : هذا أمر لا ريب فيه ... ألم يتواعدا على الزواج ؟

ضحى : ولم لا يكون قد اتخذ الزواج سبيلا إلى تحقيق مآربه
فى الإمارة والملك ؟ «أميرة القصور» ذات ثراء ،
ورثت من زوجها المال العريض ، وإنها لتبذل
ثروتها فى نُصرة الأمير ...

فجر : وما بينهما من حب ؟

ضحى : (ساخرة) ما يكون لفتى مثل «عبد الرحمن» فى
زهرة عمره ، وزهوة شبابه ، أن تستهويه امرأة فى
تمام الأربعين ، مثل «أميرة القصور» ... أقسم إن
قلبه من قلبها بعيد !

فجر : (هازئة) أحسبه يهيم بك أنت الهيام كله . . . !

سحر : (مشاركة فى الهزؤ) وسيجعل منك أميرة « الاندلس » حين ينتزع الإمارة من صاحبها « الفهرى »

نجمى : (ضاحكة) إذا تحقق هذا فلن أنسا كما . . . لألحقنكما بحاشيتى !

سحر وفجر : (ساخطتين) حاشيتك . . . على رسلك ياربة الحاشية !

يتقاذفن بالوسائد . . . .
« ابن عثمان » و « بدر » يقدمان . .
« بدر » تصيبه إحدى الوسائد فيترنح
ويسقط . . . .
الجوارى يتفرقن هاربات . . . . . .

ابن عثمان : ماذا تفعلن ؟ سأنزل بكن عقابى . سوف ترين . . .

« بدر » ينهض متحاملا على نفسه . .
« ابن عثمان » ينظر إليه ضاحكا . . .

يالك من خوار يا « بدر » . . . أتسكبو من وسادة تقذفك بها جارية ؟

بدر : لعنة الله على النساء !

ابن عثمان : ولم تستنزل عليهن اللعنة يا « بدر » ؟

بدر : ياسيدى يا « ابن عثمان » . . . إنهن دائماً فى نزاع وشجار . . .

ابن عثمان : وهل يختلفن عن زعمائنا وأمرائنا فى شىء ؟ هم دائماً فى تغالب واحتراب ... وهذا مانذرت نفسى للقضاء عليـــه .

بدر : (متثائبا) أسأل الله أن ينيلك ما تتمنى ياسيدى يا «ابن عثمان» . . . ليست بغيتك هذه إلا بغية أميرنا «عبد الرحمن» . . . ولكنى أصارحك بأن قرائن الأحوال لا تبعث على التفاؤل ، لقد كانت إمارة «الأندلس» قريبة المنال من الأمير «عبد الرحمن» يوم حللنا هذه الديار منذ شهر مضى . . . أما الآن فقد أصبحت حلما من الأحلام . . .

يتثاءب فى صوت مزعج يرتاع له «ابن عثمان»

ابن عثمان : (صائحا فى حدة) وكيف يتاح لك التفاؤل ، وأنت على هذه الحال لا ينقضى لك تثاؤب ؟

بدر : وماذا فى أن أتثاءب ؟ أيضير هذا مطلب الإمارة ياسيدى ؟

ابن عثمان : كل الضير يا «بدر» ... مثل لعينيك جيشا لا عمل له إلا أن يتثاءب ، وقدر ما يكون من أمره .

بدر : أفى حسابك أنى لا عمل لى إلا التثاؤب ؟ ألست ترانى أنهض فى جنح الليل ، والناس نيام ، أعتس وأجتس ؟ على أنى وحقك يا سيدى لا أدرى لماذا يجشمنى الأمير

« عبد الرحمن » هذا الجهد ؟ مم يخشى ؟ ألم يصالح « الفهرى » أمير البلاد على الأمان ، وعلى أن يخلد إلى السكينة ، ولا ينزع إلى طلب الإمارة ؟

ابن عثمان : (محنقا) أحسبت أن الأمر قد انتهى إلى ذلك حقا ؟ وأن الإمارة قد أفلتت من يد الأمير «عبد الرحمن» ؟

بدر : ألم يتم هذا فى الاجتماع الذى ضم أهل الرأى وأقطاب القوم وشهده رسول « الفهرى » ؟ ألم يرغب الجمع فى إيثار السلام والوئام ، فأقروا « الفهرى » على إمارة البلاد ؟ . . . أما أميرنا « عبد الرحمن » . . .

ابن عثمان : (ساخرا) فَيُرَدُّ عليه ما ترك جده « هشام » من ضياع وعقار ، ويحيا فى خفض من العيش واطمئنان . .

يتابع قوله ثائرا فى تهكم . . . . .

السلام . . . السلام . . . كلمة موهوا بها على « عبد الرحمن » ليلفتوه عن مأربه الجسيم ، وخدعة زينوها للناس ، لكى يثبطوا عزائمهم عن نصرة الحق . . . إن هذا « الفهرى » لا يصلح لإمارة « الأندلس » ، فهو أعجز عن أن يخضد شوكة الأمراء ويحسم ما بينهم من منازعات وأطماع . . . إنه لا يستطيع أن يطيح بسلطان الإقطاع ، وإذن فلا سلام !

بدر : ولكن جيش الشام الذى ينضوى تحت لوائك أنت وصهرك « ابن خالد » أقر رأى الجميع فى توطيد الإمارة « للفهرى » . . . .

« ابن خالد » يقدم وقد انتهى إليه حديث « بدر » . . . .

ابن خالد : إن جيش الشام جيشنا ، لا رأى له إلا ما نرى ، ومتى أردنا أمراً كان طوع البنان .

ابن عثمان : (معانقا « ابن خالد ») . مرحبا بك . . . طالت عنا غيبتك . . . تركتنا فى وقت نحن محتاجون فيه إليك . . .

ابن خالد : كان حتما علىّ أن أعود إلى قريتى ، لأقضى فترة بين أهلى وولدى . . .

ابن عثمان : ظننتك قصدت « أشبيلية » للقـــاء زعيم اليمنية « أبى الصباح » ، تنشد مؤازرته لنا فى أن تتحد البلاد بزعامة أمير قادر همام . . .

بدر : لا تَرْجُ خيرا من « أبى الصباح » . . . إنه حرباءة تتلون ألوانا . . . طالما ظفر منا بالهدايا والألطاف ، ولم يَجْزنا عليها إلا كواذب الوعود . . . كيف يعين على أن تتحد البلاد تحت إمرة زعيم واحد ، وهو إنما يجنى المغانم من وراء الفوضى والانقسام ؟ . . .

ابن خالد : لا تَنْسَ أنه فى أهْبَةٍ من جيش لجب ، آلاف مؤلفة من عرب « أشبيلية » . . .

ابن عثمان : لهذا كان علينا أن نستميله ، حتى تكفل عونه لنا على انتزاع الإمرة من يد «الفهرى» بالعُدة والعَديد . . .

آذن يقدم . . . .

الآذن : (لابن عثمان) عُرَفاء الجند ينتظرون مولاى .

ابن عثمان : (لابن خالد) تعال نتداول معهم الرأى .

ينصرفان . . . .

« بدر » يتمطى ويتثاءب ، باديا عليه الاعياء ، متهالكا على متكأ . . . .

بدر : هنا أستطيع أن أنعم بغفوة طيبة . . . ولكنى ظمآن .

يملو بهامته ، ويدور بعينه ، ثم يعاود تراخيه ، قائلا . . . .

لا أرى ظلا لأحد . . . من يسعفنى بقدح من شراب ؟

ينادى . . . .

يا من هنا . . . يا أهل القصر . . .

يصفق . . . .

ألا من مجيب ؟

« سحر » و « فجر » و « ضحى » يتطلعن على بعد ، حذرات . . . . . .

« بدر » يحس وجودهن ، ويرفع
رأسه متلفتا يمنة ويسرة ، فيتوارين
عنه ، فيستلقى ثانية . . . .
الجوارى يستأنفن التطلع . . . .
« بدر » يصيح . . . .

عطشان ياناس . . . شربة ماء !

الجوارى يتوارين . . . .
« بدر » يستبد به الخول ، ويهوم برأسه ،
ثم يستيقظ مناديا يطلب الرأى ، ثم يعاود
التهويم ، ويغشاه النوم ، حتى يعلو غطيطه
« ضحى » تقدم بقدح من شراب . . .

ضحى : سيدى « بدر » . . . .

بدر : إيه . . . هيه . . . من ؟

ضحى : ألست عطشان ؟

بدر : عطشان ؟ . . . حقا أنا عطشان . . . إى وربى !

ضحى : جئتك بالشراب . . .

بدر : (وقد فتح عينيه ، وتمصص شفتيه) الشراب . . .
الشراب . . .

ضحى : شراب الورد . . .

تقبل عليه ، وتقرب القدح منه . . .

بدر : (مبتسما) حسن . . . حسن . . .

يحاول القدح ، ويترشف منه . . . . .

شراب سائغ . . . كثيرا ما كنا نشرب مثله فى الشام . . .

ضحى : أيهما أطيب ؟ شراب الشام أم شراب الأندلس ؟

بدر : (وقد تناول جرعة وافية ، ومد يده إلى «ضحى» يلاطفها) الشراب الذى تحملينه أنت حيث تكونين . . . ما اسمك يا حسناء ؟

ضحى : جاريتك « ضحى » . . .

بدر : (ينتبه ويتذكر) ألست أنت التى قذفتنى بالوسادة ؟

ضحى : أى وسادة ؟ لا ورأسك ياسيدى ! . . . فليقذفنى الله بحُمَمَةٍ من حُمَمِ جهنم إن كنت قد فعلت . . .

بدر : (يهز رأسه مصدقا) لقد وهمت . . . لا عليك . . .

ضحى : (مائلة عليه) أخبرنى ياسيدى « بدر » . . .

بدر : بماذا أخبرك يا « ضحى » ؟

ضحى : أيحب الأمير شراب الورد ؟

بدر : الأمير . . .

ضحى : أميرنا « عبد الرحمن الأموى » ضيف القصر . . .

« سحر » و « فجر » تتدانيان من « بدر » دون أن يراهما . . . .

بدر : وفيم سؤالك ؟

ضحى : لأقدم له الشراب الذى تطيب به نفسه .

« سحر » و « فجر » تبدوان « لبدر »

سحر : إنى أحسن صنع شراب القرنفل ...

فجر : وأنا لا يباريني أحد فى صنع شراب البنفسج .

بدر : ورد وقرنفل وبنفسج ... لكأنى فى بستان يزدهر بالرياحين .

الجوارى يتضاحكن ....

« بدر » يواصل قوله ....

ما أجمل الحياة فى صحبتكن !

يغامزهن فيستجبن له ويتضاحكن ...
« عبد الرحمن » يطل على الردهة فيلمح
الجوارى مع « بدر » فينبذ مكانا قصيا
يرقب فيه ويتسمع ....

ضحى : (متبسطة) لم تجبنى يا « بدر » ... أيهوى الأمير شراب الورد ؟

بدر : هو شرابه المفضل ... ولا سيما حين تقدمه له حسناء مثلك .

سحر : أتراه يشغف بالنساء ؟

بدر : (متشدقا بالكلمات) ما أكثر مغامراته فى بحار

الحب والهيام

فجـــر : فهلا رويت لنا طرفا من هذه المغامرات ؟

سحر : أمتعنا بحديثك ياسيدى « بدر » . . .

بدر : (والجوارى حوله ، وهو يكثر الإشارة والإيماء والتلويح) استمعن لى . . . واحذرن أن تفشين ماأفضى إليكن به . . . لا تتحدثن بشىء منه لأحد . . .

الجوارى : أبدا . . . أبدا . . .

بدر : هل علمتن كيف أفلت الأمير « عبد الرحمن » من براثن « ابن حبيب » أمير « إفريقية » ؟

الجوارى : ومن أين لنا أن نعلم ؟ !

بدر : كانت وراء الأمر امرأة . . هى السر كل السر . . . امرأة ورب السماء !

الجوارى : امرأة . . .

بدر : امرأة افتدته بنفسها . . . شغفهـــا حبا ، فكان افتداؤها إياه .

عبد الرحمن : (وقد برز لبدر) يالها من قصة شائقة !

« فجر » و « سحر » تلوذان بالفرار .

بدر : « متلعثما » الأمير ؟ الأمير ؟

« ضحى » فى مكانها ماكثة ، موصولة النظر « بعبد الرحمن » . . . .

عبد الرحمن : (لضحى) فيم بقاؤك ؟

ضحى : ربما أمرتني أيها الأمير بأن أحضر لك قدحا من شراب الورد .

عبد الرحمن : لا حاجة لي به . . .

« ضحى » تنصرف خافضة الرأس . :
« عبد الرحمن » مغضب الملامح في جيئة ورواح ، يقول « لبدر » . . . .

ما أشقاني بك أيها الرجل ! ؟

بدر : (متملقا في مسكنة) : أمن جراء بادرة هينة تعد نفسك شقيا يا مولاي ؟

عبد الرحمن : هل بلغت بك القحة أن تحدث عن جواري القصر حديث السوء ؟

بدر : أي حديث سوء يا مولاي ؟ لقد أطنبت في امتداحك وإطراء صفاتك أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : صه يا لسان الشر . . .

بدر : خرست يا مولاي .

عبد الرحمن : تجيز لنفسك اللهو والعبث ونحن في جد وجهاد ؟

بدر : أقسمت برب البيت ما عبثت ولا لهوت . . . فقد جئتُ هنا أنشد قدح ماء أطفىء به ظمئي . . . قدح

ماء ورأسك الغالى .

«عبد الرحمن» يخطو فى الردهة . . . .

عبد الرحمن : إنى لأسأل نفسى: ما انتفاعى بك؟أنت على النقيض منى ، فلماذ أستبقيك معى ؟

بدر : لاعجب فى أن تصطحبنى وإن كنت نقيضك . . . . المرء لا يستغنى عن نقيض له يأنس به

عبد الرحمن : بئس النقيض أنت !

يتابع تنقله فى الردهة . . . .
يقف تجاه «بدر» ويصيح به فى حدة

هل من جديد فى شأن زعيم اليمنية « أبى الصباح» ؟

بدر : (فى ذلة واستكانة) لاجديد يامولاى . . . شدّ ما تحسست أخباره ، فلم أظفر بطائل . . . إنه رجل لا يوثق به . . .

عبد الرحمن : أيخذلنا « أبو الصباح » ؟ إذن لقد ضاع كل شىء !

بدر : (متبسما متظرفا) إلا ميراثك من جدك « هشام » . . . هو لك ، لاينازعك فيه منازع . . .

عبد الرحمن : أيكون همى كله ميراث جدى ؟ أليس عندى من المآرب إلا متعة الحياة وترف العيش ؟ البلاد على

شفا جُرُف ، والفرنجـة يتحلب ريقهم لها ، فهم يتربصون بها الدوائر . . .

بدر : (متضاحكا متلطفا) يبدو أن جو « الأندلس » قد أذكى شهوتك إلى ما هو أجل شأنا من ترف العيش ومتعة الحياة !

عبد الرحمن : كما أذكى شهوتك أنت إلى ألوان الطعام والشراب

«بدر» يضحك متصنعا الإعجاب بنكتة

«عبد الرحمن» ثملقا له . . . .

« هنيهة صمت » . . . .

بدر : هنالك سر لم أعرف له كنها بعد . . الناس أجمعون أقروا السلام ، وأظهروا النفرة من العداء، ولكنى أحس ريح الحرب تملأ الخياشيم .

عبد الرحمن : (متفرسا فى وجه بدر) ولماذا يحب الناس السلام، وينفرون من الحرب ؟

بدر : الجواب لا يخفى عليك يا مولاى ، فالحرب مجلبة الفاقة والبؤس والخراب . . .

عبد الرحمن : وكيف السبيل إلى السلام ، وفى الناس من يريدون الاستئثار بالقوة ابتغاء المغنم والجاه، فهم من أجل ذلك يتنازعون السلطان ، ولا يبالون بأن يضربوا بمصالح البلاد عرض الحائط .

بدر : فلنقض على هذا التنازع ، حتى نبلغ ما نصبو إليه
: من سلام ...

عبد الرحمن : عليك إذن أن تخضع من يريد الاستئثار لنفسه ، لكى يتوافر لك السلام المنشود .

بدر : (بعد تفكير) وإذا اجتمعت كلمة الزعماء فيما بينهم على أن ينبذوا تنازع السلطان ؟

عبد الرحمن : إذا اجتمعت ... ولكن ماذا تصنع إذا لم تجتمع كلمة الزعماء ؟ إذا أمعنوا فى التنازع لا ينتهون ؟

يتابع قوله محتد اللهجة . . . .

إذا طمح كل منهم أن يمهد الأمر لنفسه ، ويجمع ما استطاع فى قبضته ، لا يعنيه إلا أن يكون صاحب الحول والصول ؟ إذا ظلت روح الاستئثار بالسلطان مستشرية بين الجوانح لا يهدأ لها أوار ؟

بدر : (مبادرا) فلننزع من أيدى الزعماء ما يتنازعون من أجله ، حتى لا يكون لهم من الأمر شىء ...

عبد الرحمن : كيف نستخلص « الأندلس » من أيدى هؤلاء الزعماء الذين اتخذتهم شيعهم أصناما معبودة ، فتمزقت بهم الوحدة ، وتفرقت الكلمة ، وأصبح الأمر فوضى ؟ أولئك هم الفرنجة منا على مرقبة ،

يرصدون الفرصة حتى تُمكن . ولكأنى أرى الغد وقد خيمت معالمه السود ، والويل للمغلوب !

بدر : لم لا تسير سيرة جدك «عبدالملك» ، إذْ وجد دولة الإسلام فى المشرق ، فقضى على سلطان الإقطاع ، وفل شوكة الأمراء .

عبد الرحمن : ليس أحب إلى من أن أكون على غِرار جدى «عبد الملك» ... ولكن الرغبة وحدها لا تنيل المأرب الجسيم ، ولا تحقق الأمر العظيم !

صوت : (من خارج) ياعالم الغيب ... يامسير الأقدار ...

«عبدالرحمن» و «بدر» يتبادلان النظر

«عبدالرحمن» يدهش . . . .

«بدر» يضحك . . . .

بدر : لقد التأم الشمل ... ذلك هو «منارة» يهبط علينا من حيث لا ندرى .

عبد الرحمن : لم يكن يعوزنا إلا أن يلحق بنا ذلك الرجل المخبول . . . اخرج إليه فأسلمه إلى الخدم ليهيئوا له المأوى ، ولا تأذن له فى القدوم على الآن . . .

«بدر» ينصرف . . . .

«عبدالرحمن» يناجى نفسه . . . . . .

أمراء الإقطاع . . . أمراء الإقطاع . . . أصنام

اتخذ تـهـازُمَـر من طلاب المغانم وصغار النفوس...
لقد حطم الإسلام أصنام الـكفر ، وقضى على وثنية
الدين ، ولـكن كيف السبيل إلى تحطيم أصنام
الإقطاع ؟ كيف السبيل إلى القضاء على وثنية
الزعامة والإمرة ؟

ينتحى ناحية ، وهو مستغرق فى التفكير
«ضحى» تبدو مترددة ، على تخوف
وفى يدها قدح من شراب الورد . .

ضحى : مولاى ، إخالك ظمئت . . . واليوم صائف . . .

عبد الرحمن : (ملتفتا اليها فى رفق) أحسنت صنعا . . .

يتناول القدح ويترشف منه . . . . .
« ضحى » مشرعة البصر إليه . . . .
«بدر» يقبل راكضا . . . . .

بدر : لم يحضر «منارة» وحده . . . حضرت معه الجارية «رَوَاح» . . .

«ضحى» تضطرب . . . . . .

عبد الرحمن : أف من هـذه الملاحقة . . . لـكأنى طعمة شهية تنهشها الجياع !

يرد القدح الى « ضحى » ، فتنصرف به
مهمومة . . . «عبد الرحمن» يذرع الردهة
فى ذهوب وجيئة ، وهو يردد . . . .

« الفهرى » . . . « أبو الصباح » . . .

بدر : (متدانيا) « ابن عثمان » « ابن خالد » يبذلان فى نصرتك غاية الوسع . . .

عبد الرحمن : كلٌّ لنفسه يعمل ، فما يبغيان إلا أن تتحقق لهما أحلامهما فى الهيمنة على مرافق البلاد ، حين يخلو لهما الجو ممن ينافسهما من القواد والحكام .

بدر : (خافت الصوت) و « أميرة القصور » أخت « ابن عثمان » ؟

عبد الرحمن : ما لهـــا ؟

بدر : بعثت تسأل عنك . . .

عبد الرحمن : ماذا تريد منى ؟ إنها تلاحقنى ، وأنا لا أبغض شيئا كما أبغض الملاحقة ، لقد قضيت أيامى فرارا ممن يلاحقوننى والآن تقبل النساء على . . .

بدر : إن « أميرة القصور » لا تنى عن إرسال الهدايا والألطاف إليك ، وهى تتألف الزعماء بالأموال ، حتى يكونوا لك تبعا . . .

عبد الرحمن : وهل هذا كله إلا لون من الملاحقة التى أمقتها كل المقت؟

بدر : لقد أحبتك حبا يجل عن الوصف ، وغاية مناها أن يتم بينكما الزواج الذى وعدتها إياه . . . فلتفعل ،

ولتعجل ومن أجل مرامك الأسمى كل شيء يهون !

عبد الرحمن : يالك من رجل ساقط النفس خسيس... أحسبتني من أولئك النفر الذى تحفزهم مآربهم على اصطناع كل وسيلة وحيلة بغية الوصول ؟

بدر : لو كنت مكانك لما أبيت شيئا يبلغ بى الغرض المنشود .

عبد الرحمن : اغرُب عن وجهى أيها الوُصولىّ الوضيع ...

بدر : هدىء من روعك ايها السيد المبجل ... سيغرب عن وجهك الوصولى الوضيع !

يتجه ناحية الباب ....

يلمح شبح قادم فيقول ....

« أميرة القصور » فى الطريق إليك ...

« أمير القصور » تقدم ، عليهـا لثام شفاف ، وقد تجلى الترف فيما ترتديه من ثوب ، وما تتجلى به من زينة.....

اللثام يتراخى عن وجهها شيئا ....

« بدر » ينزوى خلف ستارة الباب

أميرة القصور : (متشوقة إلى « عبد الرحمن » على ترفع ! ... « عبد الرحمن » ...

عبد الرحمن : (مقبلا عليها) أميرتى ... أميرة القصور .....

أيديهما تتشابك ....

أميرة القصور : كنت أبحث عنك ...

عبد الرحمن : وأنا كذلك .. ألححت فى السؤال والاستخبار . . .

« تدر » يطل من خلف الستارة ، وقد
هز رأسه وضرب كفا بكف ، ثم يهم
بالانصراف . . . .

بدر : (يهمهم وهو منصرف) الآن ينصرف الوصولى
الوضيع فى أمان الله !

أميرة القصور : ماذا ترى فى العطر الذى تعطرتُ به لك اليوم ؟

عبد الرحمن : إن عطر الورد يملأ أنفى ... عطرك !

أميرة القصور : لا . لقد استبدلت به اليوم عطر الياسمين .

عبد الرحمن : (متداركا) حقا ؟

أميرة القصور : وهناك قارورة منه أهديها إليك .

عبد الرحمن : (متناولا القارورة) العطور عندى كلها سواء مثل
النساء . . . لا يختلفن إلا فى الأسماء والوجوه .

أميرة القصور : وماذا ترى فى عطرى ، وفى وجهى ؟

عبد الرحمن : أرق العطور ... أوسم الوجوه ... أميرة القصور ...
لا . . . بل حسناء الأندلس .

أميرة القصور : عندى لك نبأ يسرك . . .

عبد الرحمن : إذن فعجلى به . . .

أميرة القصور : (تتوسمه فى إعجاب ، ثم تقول له فى دلال)
فلتحزر . . .

عبد الرحمن : (مفكرا) رسالة من « أبي الصباح » . .

أميرة القصور : دع « أبا الصباح » الآن . . .

عبد الرحمن : ماذا يكون إذن ؟

أميرة القصور : قلت لك احزر . . .

عبد الرحمن : لاتزيديني تطلعا .

أميرة القصور : ليتني أستطيع إثارة تطلعك !

عبد الرحمن : ولم ؟

أميرة القصور : لأخرجك من صمتك وسهومك !

عبد الرحمن : أتجهلين مايدعوني إلى الصمت والسهوم ؟إني من أمري في حيرة وقلق ، فأنا ألتمس لنفسي القرار .

أميرة القصور : لا أجهل من حقيقة نفسك شيئا . . . سأرد إلى نفسك طمأنينتها . . . سأبلغها مناها !

تطرق هنيهة ، ثم تواصل القول . . .

إني أمهد للأمير « عبد الرحمن » ما هو جدير به من حياة . . .

عبد الرحمن : (في سخرية) حياة الدعة والرفاهية، ييسرها لي ماورثته عن جدي « هشام » !

أميرة القصور : بل حياة العزة والسلطان . . . حياة التأمر على رحاب الأندلس جميعا !

عبد الرحمن : ومن أين لى ملك «الأندلس» ، والحال كما تعلمين ؟

أميرة القصور : ثق بأن الغد لك . . . إننا نحن معا . . . ليكونن بيدنا قياد البلاد .

تسكت لحظة ، ثم تواصل القول . . . .

هأنذى أجاهرك بالنبأ الذى جئتك من أجله . . لقد أصبح جيش « الفهرى » على حال من الوهن والتفكك لا يستطيع معه غلابا ولا مقاومة . . .

عبد الرحمن : (مرهفا سمعه) كيف يا أميرة ؟

أميرة القصور . لقد أجهزت عليه دعايتنا المتوالية ، بعد أن أوهنته الثورة . . . متى جمعنا الجموع ، وتشمرنا للحرب ، فلا ريب فى أن يكتب لنا عليه النصر !

عبد الرحمن : يقولون إن الأمة قد أبغضت الحرب ، وسئمت النزوات والفتن ، وقد ناشدنى أقطاب القوم أن أجنح إلى السلم ، وألا أثير الزعازع فى البلاد ، وإنى لهم مستجيب . . . لقد أحسنوا وفادتى ، وأنزلونى منهم أكرم منزل .

أميرة القصور : وماذا جنى الناس من حروب إثر حروب ؟ لقد خاضوا غمارها ، وشقوا بها ، والزعماء

وخدمهم الذين غنموا خيرها ... لقد ذهبت
هدراً دماء الشهداء فى مختلف المعارك ، وظلت
البلاد على حالها مفككة العرى، مُشتّتة القوى،
لا حامٍ ولا راعٍ ... للناس عذرهم فيما يبدون
من إبغاض الحروب ... إنهم فى ذلك على حق !

عبد الرحمن : ربما كان هذا ما يبدو من الناس . ولكن الناس
فى حقيقة الأمر لا رأى لهم إلا ما يرى الزعيم
القوى الحرىّ بالزعامة ... فلينهض هذا الزعيم
إن كان له أن ينهض ، ولينظر بعد ذلك كيف
تكون عنده مشيئة الناس ...

أميرة القصور : وماذ يحجم بك عن أن تكون هذا الزعيم ،
وأنت لذلك أهل ؟

عبد الرحمن : لكى أكونه، لابد أن أمشى على تل من جماجم
القتلى ، وما جئت هنا لأكون سفاك الدماء .

أميرة القصور : فلتقنع إذن بميراثك من جندك «هشام» ...
تواصل القول متلطفة ....
ولتقنع بى أنا أيضاً .... !

عبد الرحمن : وهل ينقطع سفك الدماء إذا أنا أمسكت وعففت ؟
كلا وايم الله ... ما زالت الدماء تراق منذ

الأزل ، وستظل تراق مابقى البشر . . . تلك هى العقدة التى تستعصى على الحل . . .

أميرة القصور : إذن فلتبعثها حربا شعواء . . . وإنى بجانبك أخوض معك غمرات القتال .

عبد الرحمن : طريف كل الطرافة أن أسمع حديث الحرب والدماء من أميرة الرقة واللطف . . . إنى لأعجب لهذا الفم الوردى العذب كيف تنساب من بين شفتيه كلمات الشراسة والعنف !

أميرة القصور : لتجدنّني بجانبك نمرة ضارية ، تطيح الرءوس ، وتفرى الأجساد . . . من أجل نصرتك ، وإعلاء كلمتك !

عبد الرحمن : (آخذا بيدها) إن لضراوة النمرة جمالا أى جمال . . . إنها لتزيد تألق الفتنة فى عينيك ، وتذكى لهيب الحسن فى وجنتيك ، وتؤجج نار الحيوية فى روحك الجموح . تالله إن هذا لهو الجمال السّوى ، وما عداه تميع ومذلة وخنوع . . .

أميرة القصور : (مقبلة عليه) أنا كما تشاؤنى يا أميرى أكون . . . سواء علىّ الخنوع والطموح ، سواء علىّ المذلة والاستعلاء ، سواء على الاستكانة والانبعاث . . .

مادمت أوافق هواك ، وأبلغ رضاك ! . . . قل
لى كيف تريدنى أن أكون ؟ . . .

تداريه حتى تكاد تلثمه . . . .
« عبد الرحمن » يتباعد فى لطف . .

عبد الرحمن : لاتلينى ... فلتبق كما أنت الثمرة الجامحة ...

يستدرك موقفه منها ، فيدانيها على تحفظ
ملحوظ ، ويواصل قوله . . . .

فلتبق كما أنت أميرة القصور . . .

« بدر » يقدم » ركضا فيقول « عبدالرحمن » :

ماذا فى الأمر يا « بدر » ؟ . . .

بدر : رسول « أبى الصباح » فى القصر .

عبد الرحمن : ما اسمه ؟

بدر : « أبو غالب تمام »

عبد الرحمن : (متفائلا) « غالب » . . . نحن الغالبون ...
« أبو تمام » . . . تم لنا الأمر ! . . . إيذن له فى
الدخول على الفور . . .

« بدر » ينصرف . . . .
« عبد الرحمن » يلتفت الى « أميرة
القصور » . . . .

أميرة القصور : سألبث معك

عبد الرحمن : أوثر أن تمضى ، لتعدى لى شكة السلاح . . .

أميرة القصور : (متسائلة) شكة السلاح ! أهناك حرب !

عبد الرحمن : نحن فى حرب دائمة . . أجل فى حرب دائمة . . .

يدفع بأميرة القصور فى رفق . . . .

تنصرف . . . .

«عبد الرحمن» يقول منفردا . . . . .

... وهل بعد هذه حرب ؟

صمت قصير . . . .

يستأنف الكلام . . . .

كل ما نبغى أن نوجه الحرب وجهة فيها للبلاد خير

« ابن عثمان » و «ابن خالد» و«بدر»

يقبلون ، ومعهم « أبو غالب تمام »

رسول «أبي الصباح » . . . .

الرسول يحيى « عبدالرحمن » فى إجلال

« عبد الرحمن » يرد التحية . . . . .

أبو غالب : أخوك « أبو الصباح » يقرئك السلام ، وقد حملنى إليك شروطه فى التعاون معك .

عبد الرحمن : ليس بين الأخوين اشتراط . . . هات ما عندك .

أبو غالب : يطلب إليك « أبو الصباح » أن يكون شريكك فى حكم البلاد ، حين يستتب لكما الأمر .

« ابن عثمان » و «ابن خالد» يتناظران

عبد الرحمن : (لابن عثمان وابن خالد) حاكمان خير من عشرة حكام ، يتناهبون مغانم البلاد ، ويتركونهما هدفا لمطامع الدخلاء . . . .

ابن عثمان : ولكن . . . .

عبد الرحمن : (مقاطعا) فما ظنك والحاكمان أخوان يتعاونان على البر والتقوى ؟

ابن خالد : لقد فوضنا الأمر إليك ، فاقض فيه ما أنت قاض .

عبد الرحمن : (للرسول) وماذا بعد ؟

أبو غالب : أن يكون أخوك «أبو الصباح» هو المقدم فى قيادة الجيش ورياسة مجلس المشورة .

«بدر» يبدى الدهش . . . .

ابن عثمان : (صائحا) إلا هذا . . .

ابن خالد : أيتقدم الفرع على الأصل ؟

عبد الرحمن : ولم لا ؟ مادام الفرع والأصل من أرومة واحدة ، أرومة العروبة والإسلام . وثمة أمر آخر لا يجوز لنا أن نغفله ، ذلك أن أخى «أبا الصباح» يكبرنى بأعوام . وللكبير إمامة وفضل مقام . . .

أبو غالب : (فى جرأة) أسلاب الحرب ومغانم القتال يقضى فيها «أبو الصباح» وحده .

عبد الرحمن : إنى تاركها له ، يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء .
أهذا كل ما حملت إلينا أيها الرسول الأمين !

« بدر » يتقلقل فى مكانه غيظا . . .
« عبد الرحمن » يحدجه بنظرة حادة . .

أبو غالب : بقيت تحيات وأمانى يزجيها إليك أخوك « أبو الصباح »

عبد الرحمن : حيّاه الله وبيّاه . . .

يلتفت الى « ابن عثمان » و « ابن خالد »

عليكما أن تحسنا وفادة الرسول الأمين كل الإحسان

« عبد الرحمن » يخطو الى الرسول ؛
فيعانقه مربتا كتفه، قائلا له . . . .

أكرم برسول أخى « أبى الصباح » !

منصرف الرسول مع « ابن عثمان »
و « ابن خالد » . . . .
« عبد الرحمن » يستلقى على المتكأ متهالكا
« بدر » يقترب منه . . . .

بدر : هل يأذن لى مولاى فى الكلام !

عبد الرحمن : أعلم ما تريد أن تقول . . . تسألنى كيف أذعنت
لشروط « أبى الصباح » !

بدر : بل كيف صبرت على استماع الهراء الذى كان يمجه
من فمه ذلك الرسول المأفون !

عبد الرحمن : ألم يبلغك ماقاله جدى « معاوية » حين سألوه كيف تنال الحظوظ وتدرك الأوطار ؟

بدر : ماكان أحكم مايقول « معاوية » . . .

عبد الرحمن : (وقد استوفز) لاتنال الحظوظ ولا تُدرك الأوطار إلا بالصبر على المكروه .

بدر : إلا هذا المكروه يامولاى ...

عبد الرحمن : بل هذا ومافوق هذا . . . لاخيار لنا فى أن نصبر على « أبى الصباح » ورسول « أبى الصباح » !

بدر : الله معك يامولاى . . .

عبد الرحمن : الله مع الصابرين . . . الله مع العاملين . . . إن الله لا ينصر الحق والخاملين، من لا يعملون ولا يصبرون

يواصل قوله صائحا . . . .

لقد نزلتُ هذه الجزيرة طريدا ، ولن أخرج منها إلا شريدا !

الفصل الثالث

أواخر العام الثامن والثلاثين بعد المائة
من الهجرة . . . .
قصر الإمارة في « قرطبة » . . . . . .
بهو في القصر يفضى الى مستشرف
ينظر الطريق . . . .
« منارة » جالس . . . .
« رواح » في لبوس الفتيان ، متدانية
من المستشرف ، شاخصة البصر إلى
الطريق في تدوف . . . .

منارة : (يردد في همهمة) ياعالم الغيب . . . يامسيّر الأقدار !

رَواح : (ملتفتة إلى « منارة » مقبلة عليه) لم يعد حتى الآن أميرنا « عبد الرحمن » . . . ترى لأى سبب أبطأ ؟

منارة . ثم ماذا يا « رواح » ؟ ألا ترعوين عما أنت فيه من تطلع إلى الأمير . . .

رَواح : لقد تكهنت له أنت بأنه عُرْضة لحدث جديد .

منارة : أجل . . . حدث يتمثل في زهرة تُهْدَى إليه .

رَواح : وماذا في أن تهدَى إليه زهرة ؟

منارة : ربما كانت وراءها أفعى تتنفس . . .

رَواح : ولم لا يكون منها أريج يشيع البهجة ؟

منارة : ذلك ما عقب به الأمير « عبد الرحمن » على قولى له ... شدَّ ما هو واثق بنفسه !

رَواح : ألا تجده أهلا لهذا الوثوق ؟

منارة : لقد حرت فى أمر هذا الرجل ، تارة يتطير من أتفه الأشياء ، فينكل عن عزمه ، ويتردَّد فى شأنه . . .

رواح : وطورا لا يتهيب أمرا ، ولا يبالى شيئا ... أرأيت كيف تم له النصر على « الفهرى » ، حتى دخل « قرطبة » دخول الفاتح المظفَّر ، وبات أمير « الأندلس » غير منازَع ؟

منارة : هذا أول الشوط .

« بدر » يقدم . . . .

بدر : (لمنارة) أحسبك ما زلت هائمة فى سبحاتك . . منذ تم لنا فتح « قرطبة » وأنت لا تنفك تتكهن . . . إنك لتمطرنا كل يوم وابلا من تكهناتك التى لا تنتهى . . .

رواح : ولم تضيق بهذه التكهنات ياسيدى « بدر » ؟

بدر : إنى لأوثر أن أجهل مصيرى على أن أروَّع كل ساعة بطرف منه . . . لقد لطف الله بعباده حين أغلق فى وجوههم أبواب الغيوب ، وحجب عنهم ما يلاقونه فى

الغد من مكتوب المقادير .

يلتفت الى « رواح » ، مستأنفا قوله ، وهو يربت خدها . . . .

ألستَ على رأيي فى هذا ياغلامى الظريف ؟

رواح : أما نهيتك أن تدعونى بالغلام ؟

بدر : وكيف أدعوكِ ، وأنا أجدك منذ قدومك « قرطبة » تتخذين لبوس الغلمان ، وتحيين حياة الفِتيان ؟

منارة : بل تحيا حياة أهل الضرب والطعان ، من الأبطال الشجعان . . . ألم ينته إليك ما كان لها من بطولة فى يوم « المسارة » . . . يوم الفتح المبين !

بدر : الحق ياسيدى المنجم . . .

رواح : (متحمسة) لقد تلقيت بصدرى سِنان الرمح ، وكادت الطعنة تكون القاضية . . .

بدر : واحر قلبي عليك أيها البطل الصنديد !

يقترب منها مصرعا نظره الى صدرها . .

: هلا أريتنى أثر الجراح فى صدرك الطعين ؟

رواح : (تدفعه) اغرب عن وجهى . . .

بدر : كيف ؟ ألسنا رفيق حرب وضرب ؟ !

طبل يدق فى الطريق ....

الثلاثة يرهفون المسامع ....

« بدر » يقول ....

شراذم من جنود « أبى الصباح » تجوب الأرجاء على مألوف العادة ، لتعلن ما لصاحبها من سطوة وجبروت .

الثلاثة يتنحون ناحية المستشرف ...

« بدر » يستأنف قوله ....

إنى أمقت هذا التظاهر المصنوع !

منارة : جدير « بأبى الصباح » أن يزهو ، وخليق بجنده أن يعتزوا ؛ ألم يكن للعون الذى بذلوه للأمير « عبد الرحمن » أثر عظيم فيما تحقق من نصر ؟ ألم يبلوا أحسن البلاء فى يوم الفتح ؟

بدر : لم يناصرنا « أبو الصباح » إلا لحاجة فى نفسه قضاها ... ما كانت نيته أن يعمل على توحيد كلمة البلاد ، وجمع شملها الشتيت ، وإنما كان همه أن يشبع أطماعه ، ويملأ بالغنائم خزائنه ، ولو لم يكفه أميرنا عن غيه ، لأعمل فى البلاد يد السلب والانتهاب ، وعرى كل شىء فيها مما عليه ، حتى النساء فى الخدور !

الثلاثة يخرجون الى المستشرف ...

« أميرة القصور » تقدم ، ومعها تابع »

وهما يتلفتتان فى محاذرة ، ليستوثقا من
خلو البهو . . . .

أميرة القصور : هل فرغتم من تدبير كل شىء ؟

التابع : تم كل شىء على مايرام يا « أميرة القصور » . . .
لقد اخترنا الرجل الذى ينهض بالمهمّ على خير
وجـــه . . .

أميرة القصور : إن الأمير « عبد الرحمن » ثاقب النظر . . .

التابع : كل ما يعنينا أن نثق بمؤازرتك لنا فى هـذا
الأمر . . .

أميرة القصور : (ساهمة) ليكونن حدثا عظيما تتجاوب أصداؤه
فى بقاع « الأندلس » .

« ضحى » تبدو حاملة بعض ثيابه . . .
« أميرة القصور » تميل على التابع هامسة

انصرف أنت . . .

التابع ينحنى محييا ، ثم يترك البهو . . .
« أميرة القصور » تقول « لضحى » . . .

ماذا تحملين يا « ضحى » ؟

ضحى : ثيابا للأمير « عبد الرحمن » .

أميرة القصور : إنى لأسأل نفسى : هل صحبتنى إلى « قرطبة »
لتكونى وصيفة لى ، أو وصيفة للأمير ؟

ضحى : إنى لم أقصر فى خدمتك يا سيدتى الأميرة ، ولكن طلب منى أن أؤدى بعض مايجب لرب القصر ، أفما كان لى أن أفعل ؟

أميرة القصور : القصر يزخر بالخدم والأتباع ... فلماذا تخصين نفسك بمثل هذا العمل ؟

ضحى : لقد تلقيت أمرا بأن أقوم به ... فهل يسوغ لى أن أخالفه ؟

أميرة القصور : من أمرك بذلك يا « ضحى » ؟

ضحى : (فى عزة واعتداد) الأمير نفسه يا أميرة ...

أميرة القصور : (فى سخرية وامتهان) وماذا يحدو الأمير نفسه على أن يأمرك يا ترى ؟

ضحى : لابد أنه يستريح لخدمتى إياه .

أميرة القصور : (فى مصابرة ومطاولة) ومن أعلمك أنه لابد يستريح لخدمتك يا جارية ؟

ضحى : لقد أطرانى ، وامتدح خدمتى ، وأجزل مكافأتى ...

أميرة القصور : كثيرا ما أطرى الأمير من يخدمه من الجوارى والعبيد ، وطالما أسدى إليهم العطايا والمنح ... لست وحدك المخصوصة بمثل هذا الصنيع ...

ضحى : (ضيقة النفس لما تسمع) لقد خصّنى بمزيد من رعاية وعطف .

أميرة القصور : أولى بك أن تكفى عن تعقب الرجال ياجارية...

ضحى : ليست الجوارى وحدهن اللواتى يتعقبن الرجال أيتها الأميرة .

أميرة القصور : أمسكى لسانك يا طويلة اللسان !

ترفع يدها لتلطم بها وجه « ضحى »
« بدر » و « منارة » و « رواح »
يدخلون من المستشرف فى تؤدة . .
« أميرة القصور » تتمالك . . . . .

بدر : عفوا سيدتى « أميرة القصور » . . . لم نكن نعلم أنك حللت البهو . . .

أميرة القصور : تقدموا . . . تقدموا . . .

تحاول أن تظهر بالمظهر المألوف ، وتستأنف قولها . . . .

أوه . . . هذا « منارة » . . . ماذا تحمل اليوم من تكهنات جديدة ؟

منارة : خير للأميرة ألا تسألنى !

أميرة القصور : أعندك ما تشفق علينا أن تفضى به ؟

بدر : إن « لمنارة » لسانا يقطر شؤما ، وهو يأبى إلا

أن يشأ منامعه بما يروّعنا به من تكهنات السوء .

أميرة القصور : (متلهية) لا عليك يا منارة ... أنبئني بما عندك .

منارة : إنها الحرب يا أميرة ...

أميرة القصور : الحرب ... وأى جديد فى هذا النبأ ؟ إن الحرب لتكتنفنا من كل جانب .

منارة : لم أعنِ يا أميرتى حرب السيوف والرماح ، ولكنى عنيت حربا تختلف عن تلك ... هى حرب القلوب ، ترمى بشواظ من نار .

أميرة القصور : (متبسطة ، هازئة) يا لها من حرب هزيلة !

منارة : إنما هى فتنة أضرى من حرب الرجال ، وعراك الأبطال !

أميرة القصور : لن يكون لها شأن عندى ... فالقضاء عليها سهل ميسور .

منارة : أراك تستسهلين الصعب . وتستهينين بالخطر ... أنت واهمة يا أميرة .

أميرة القصور : (وقد استفزتها كلمته) واهمة ، ماذا تقصد ؟

منارة : (متخاضعا) لا شىء ... لا شىء ...

بدر : ألم أقل لك ياسيدتى إن جعبته مملوءة بالشر ، ولا شىء غير الشر ...

يزيح «منارة» قائلا له . . . .

فأل الله لا فألك... اخرج ، وتعلَّم أن تعقل

لسانك عن تلك الثرثرة المرذولة . . .

« رواح » تهم بالانصراف خلف

« منارة » و « بدر » . . . .

أميرة القصور : (لرواح) لماذا تعجلين بالخروج يا « رواح » ؟

تومىء إليها أن تبقى فتذعن . . . .

« أميرة القصور » تنعم النظر في «رواح»

ثم تطيف بها متفحصة ، ثم تتضاحك . .

رواح : هل أرادت الأميرة أن تستبقيني لتضحك مني !

أميرة القصور : وهل يضيرك أن تكوني مثار أنس وبهجة ؟

ألست من جواري القصر ؟

رواح : إني ربة سيف ، وصاحبة حرب . . . لا أتلقى

الأمر والنهي إلا من قائدي وحده . . .

ضحى : تعنين الأمير « عبد الرحمن » لا شك . . . فلقد

شخصت إليه من «إفريقية» لتكوني في خدمته . .

رواح : شخصت إليه لأكون من جنده ، أقاتل في

صفه . . .

أميرة القصور : ولم آثرت لنفسك هذا العنت والإرهاق ؟ . . .

رواح : لأسهم في تشييد صرح الدولة الجديد .

أميرة القصور : يبدو لى أن لك جَلَدًا على ممارسة الرجال !

رواح : مقضىّ على المرأة أن تُبْتَلى بالرجال ، فخير لها أن تنازلهم فى ميدان البطولة والجهاد . . .

ضحى : (لرواح ، ضاحكة) وهل تحسَبين يا صاحبتى أن بطولة الحرب وسيلة مجدية لاصطياد القلوب ؟

رواح : (لضحى) مهما يكن من أمر فلا ريب فى أنها أكرم شأنا وأعز مكانة من التذلل والتصاغر والاسترحام . . .

ضحى : (متجرئة فى المصارحة) لن تفلحى يا صاحبتى فى اصطياد قلبه بما تتخذين من وسيلة عرجاء ! . . . لقد أخفقت أنوثتك فى اجتذابه إليك ، فاقتفيت أثره تتحلين بحلية الرجال ، لعله يوليك نظرة شغف وإقبال .

أميرة القصور : (لضحى) صه ياجارية ... انصرفى من فورك ، وارتقبى أوامرى إليك .

« ضحى » تنصرف مهتاجة . . . .

رواح : يالغيرتها الشعواء !

أميرة القصور : بل ياله من توقح ذميم . . . أ كذلك أرى

جوارى الخدمة يتطلعن بنظرات الهيام إلى
ساداتهم الأمراء ؟

روّاح : (بعد تفكير) شريعة الحب ياسيدتى كشريعة
الإيمان ، لاتعرف الفوارق من جاه وثراء .

أميرة القصور : إن الحب يا جارية لاتزكو عاطفته فى صدق
وإخلاص إلا بين اثنين متساويين فى مراتب
الحياة . . . يتماثلان فى الذوق ، ويتقاربان فى
الفهم ، ويتشابهان فى السجايا والخصال . . .

تتدانى منها ساخرة تقول . . . .

شدما أنا مشفقة عليك يا « روّاح » . . .

تنصرف متضاحكة . . . .
« روّاح » متغيظة تشيعها بنظرة شزراء
« منارة » يبدو . . . .
« روّاح » تسرع إليه ، وتميل على
حضنه ، وقد ملكها النحيب . . . .

منارة : قصة كل يوم . . .

روّاح : (ترفع رأسها عن صدره ، وتقول شَرِقة بالدمع)
أضرع إليك أن تعيننى . . . أسْدِ إلىّ جميلا . . .

منارة : صبرا يابنية صبرا . . .

روّاح : اصنعْ لى تميمة تمكننى من قلب الأمير . . .

استوح لى الجن . . . علنى ماذا أقـول ؟ وماذا أفعل ؟ حتى أظفر بحبه .

منارة : ليتنى لم أطعك ، حين أصررتِ على أن تصحبينى ، يوم عرفت أنى راحل إليه . . .

رواح : لقـــد صحبتك إليـه ، لـكى أراه ، لـكى أحيـا بجـواره . . . أجبنى بربك : كيف أصنـع حتى يهوانى كما أهواه !

تتشبث بصدره . . . .

منارة : مبلغ علمى أنه قليل الشغف بالنساء .

رواح : (فى سذاجـة) لذلك رأيتنى أتخـــذ له لبوس الرجال .

منارة : (مبتسما) وقد أكبر فيك شيمة الرجولة ، فهو ينظر إليك على أنك رجــــل همام . فلتقنعى بهذا الآن .

«رواح» صامتة تـكفكف الدمع . . .

« منارة » يستأنف . . . .

أكذلك يبلغ حبك إياه ؟

همهمة وخفق أقــدام . . . .

« رواح » تسمع وتقول . . . .

إنه هو . . . تلك خطاه ، لاتخطئها الأذن !

« عبد الرحمن » يقبل، وخلفه «سابق بن مالك » ومن ورائهما « ضحى » . . .

عبدالرحمن : (مواصلا حديثه مع « سابق بن مالك») وليمنح الرجل عطاءه موفورا غير منقوص يا « سابق » . . .

يلمح « منارة » و « رواح » . . . .

ها أنت ذا يا « منارة» . . . وأنت يا « رواح» . . .

« منارة » و« رواح » ينحنيان انحناءة التحية

«عبد الرحمن» يواصل قوله «السابق» .

وهؤلاء الذين وقفوا لى فى الطريق ، وشكوا إلى ما يعانون من العسر والضنك وسوء الحال، عليكم أن تتعهدوهم بالأقوات ، وتسبغوا عليهم الكسى . . . أواع أنت ما أقول يا« سابق » ؟

سابق بن مالك : السمع والطاعة للأمير .

« عبد الرحمن » يومى إليه أن ينصرف، فيحيى ويمضى . . . .

« عبد الرحمن » يستريح على أريكة وثيرة، وما إن يمد قدميه حتى تعجل إليه « ضحى » فتخلع نعليه وتحملها فى منصرفها عن البهو .

« رواح » ترقب هذا الصنيع ضائقة به .

منارة : هل يأذن لى الأمير أن أقول ؟

عبد الرحمن : ما أحسبك إلا معاودا حـــديث الورود والأزاهير !

منارة : إذا أردت أن أصارح الأمير بأنه يغلو فى إحسان الظن بالناس... فهو يمنح بشره وتحننه لكل من يلقاه فى الطريق، من باسط مظلمة ، أو راجى معونة ...

عبد الرحمن : وهل تريدنى أن أصدعنى طلاب الحاجات . ولا أنظر فى ألوان الشكايات ؟

ينهض متخففا من بعض ما يثقله من الثياب، « رواح » تهرول إليه ، وقد مدت ذراعيها تبغى أن تعينه ، فيقول لها . .

ليس هذا من عمل الجنود يا « رواح » . . .

رواح : (فى تذلل وتحبب) ألست خادمتك أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : بل أنت من جنودى شاكية السلاح !

رواح : من أجلك صنعت ما صنعت . . . لعلى أبلغ رضاك ، ولعلك . . .

عبد الرحمن : (يقاطعها فى ملاطفة) ولكنك تشفقين على نفسك يا « رواح » . . . لست أدرى لم تتجشمين هذا العناء كله ؟

رواح : (وقد استشعرت الخيبة) أخطأت فيما قصدت ... مغفرة أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : (مترفقا بها) لاعليك ... لاعليك ...

تحمل ماخلع من ثيابه ، وتدير بها نحو الباب ، متثاقلة الخطو ....

« ضحى » تصادفها وهى عائدة الى البهو تحمل الخفين للامير ، فتراشقان بالنظرات الحـداد ....

« رواح » تقف عند الباب ترقب « ضحى » وهى تتقدم من الأمير وتضع الخفين فى قدميه

« ضحى » تترك البهو فتلقى « رواح » عند الباب ....

ضحى : (وهى تحاول انتزاع ثياب « عبد الرحمن » من يد « رواح ») لا شأن لك بثياب الأمير .

« أميرة القصور » تقبل فتشهد مايحدث بين الفتاتين ، بمنأى من عين « عبد الرحمن »

رواح : (متشبثة بالثياب) لن تأخذيها ... دعيها ...

ضحى : (محاولة انتزاع الثياب) قلت لك اتركيها لى ، لا شأن لك بالأمير ولا بأشيائه ...

« رواح » تعدو بما تحمل ....

« ضحى » تلاحقها..........

منارة : (وهو يلتفت ناحية الفتاتين المتنازعتين) يأذن لى الأمير فى الانصراف لإخماد هـذه الفتنة ؟

عبد الرحمن : افعل ... وعسى أن توفق .

« منارة » ينصرف مهرولا . . . . .

أميرة القصور : (متدانية من « عبد الرحمن » ، ساخرة اللهجة.) حقا ما أطرفه من مشهد !

عبد الرحمن : (فى استخفاف) أى مشهد ؟

أميرة القصور : امرأتان تتنافسان فى رجل !

عبد الرحمن : وأى عجب فيما ترين ؟ ربما تنافس أكثر من امرأتين فى رجل واحد . والويل كل الويل لهذا الرجل الذى تتنافس فيه النساء !

أميرة القصور : ألا يزهو الرجل ويعتز بكبريائه حين يلقى النساء من حوله يتهافتن عليه ، ويفتتن به ؟

عبد الرحمن : هذا شغل من كان خالى البال .. ترنح أعطافه المتع والملذات ... أما من كان مشغولا بعظائم الأمور فإنه يرى فى ذلك تعويقا له عن سعيه ، وصرفا له عما يهمه . . . ما أثقل أن يحس المرء بأن هناك من يلاحقه ، ويقتص أثره .

أميرة القصور : (وقد وقفت تتوسمه فى حسرة) ماذا تقول يا « عبد الرحمن » ؟ أتسمى حبى إياك وإخلاصى لك ملاحقة واقتصاص أثر ؟ أنت قاس فيما تكاشفنى به !

عبد الرحمن : إنك تغالين فيما تبدين من عاطفة ، وهل المغالاة في هذا إلا ملاحقة ؟

أميرة القصور : مسكين أنت يا « عبد الرحمن » . . . ساورتك الأيام وناوشتك الأحداث ، فأصبحت مبالغا في حذرك ، تسيء الظن بمن يتبعك ، حتى إنك لتضيق ذرعا بامرأة وهبت قلبها لك ، فهي تنشدك أينما ذهبت . . . إني أرثى لك يا « عبد الرحمن » إذ تحيا بلا قلب !

عبد الرحمن : قلب ؟ أي قلب ؟

أميرة القصور : ليت شعري كيف تسعد بحياتك في قابل عهدك ، حين يستتب لك الأمر ، وتنقشع عنك شواغل الحرب والضرب ، ويتاح لك أن تجني ثمرة الطمأنينة والأمان ؟

تتأمله في تلهف وتستأنف قولها . . .

شدّ ما تغيرتْ نفسك يا « عبد الرحمن » !

عبد الرحمن : الأحداث من حولي هي التي غيرت نفسي ، ولم يكن لي خيار .

أميرة القصور : أ كان في مقدور الأحداث أن تنال من سلطان الحب . . . حبك إياي ؟

عبد الرحمن : لست أدرى . . .

أميرة القصور : (فى نشوة) أثمة شىء أغلى من الحب يا «عبد الرحمن»

عبد الرحمن : وهذه الجزيرة التى انتزعها الآباء بقوة السيف والإيمان وقد أوشكت أن تذهب بها يد الضياع؟ أمامى أن أختار بين اثنين : إما أن أكون طوع قلبى خالصا لحب امرأة ، وإما أن أتجرد بنفسى لحب هذه البلاد . . . تلك راية الإسلام تتزعزع فى أيدى زعماء أطاعوا الشهوات ، وانصاعوا فى سبيل الفساد . فإن لم أستدرك الراية بالساعد الأشد ، وأبقيها خفاقة عالية فى يد العرب ، فهناك الداهية الدهياء!

أميرة القصور : ما بغيت أن أصرفك عن مهمك العظيم . . . وأنت تعلم أنى بذلت مالى فى سبيل نصرتك ، ولم أبخل بجهد يبلغ بك ما تصبو إليه .

عبد الرحمن : حسنا فعلت . . . وماذا تريدين منى الآن نظير ما بذلت فى سبيلى ؟

أميرة القصور : (متخاضعة) لاشىء . . . لاشىء . . . غير الوفاء بما وعدتنى إياه . . . الزواج . . .

عبد الرحمن : ألم يكن نصرك لى عقيدة يا «أميرة القصور»؟

أميرة القصور : (مطاوعة له) كان عن عقيدة يا « عبدالرحمن »...

عبد الرحمن : صاحب العقيدة لا يتقاضى ثمناً لما يبذل ويعطى ...
أخشى أن تكونى قد نصرتنى على أمري لغرض غير العقيدة التى تظاهرت بها لى ... وأنى أجلك عن المداهنة والرياء .

أميرة القصور : هبنى بذلت ما بذلت من أجل أن تكون لى ...
أفى هذا ما تلام عليه امرأة استجابت لدعوة الحب ، ونداء القلب ؟ أى ضير فى أن أنشد الزوج الكريم ؟

عبد الرحمن : (ملاطفاً) لا لوم ولا تثريب ... بيد أنى أنكر منك هذه المطالبة والاقتضاء ... حسبك أن تعلمى أنى لا أحتمل القيد ، وإن كان من حرير !

صمت لحظات . . . .
يستأنف القول فى ترفق . . . .

وما يدريك ، لعلى أكون فى غدى غير ما أنا اليوم .. دعينى الآن لشأنى ، وأرجئى حديث الزواج إلى حين . . . ألم أرغب إليك فى أن ترجعى إلى قصرك فى القرية ، عند أخيك « ابن عثمان » ، وأن ترقبى الأحداث حتى تنجلى ؟

أميرة القصور : أجدك مصرا على أن أرحل عنك .

عبد الرحمن : فى رحيلك راحة لك ، ومصلحة لى .

أميرة القصور : أقطيعة تعلنها بينى وبينك يا « عبد الرحمن » ؟

عبد الرحمن : (يتضاحك ملاطفا) قطيعة ؟ ولماذا تسمينها قطيعة ؟ إنما هى مهلة رَوِيَّة وتأمل ، وفترة ارتقاب لما يتمخض عنه الغد .

أميرة القصور : (وهى منصرفة ، كأنما تضمر أمرا) حسنا ... حسنا .. سأخلى لك الميدان تجـــول فيه وتصول ...

تمسك عن السير وتقول له .....

ولكن ألا تخشى أن أظاهر عدوك عليك ؟ !

عبد الرحمن : أنت ؟ ولماذا تفعلين ؟

أميرة القصور : (وهى تتفرس فيه) أراك تحسن فهم كل شىء إلا قلوب النساء !

تتضاحك : قائلة ....

إلى لقاء قريب .

تمضى منتابجة ....

« عبد الرحمن » مخنق يذرع البهو ...

« بدر » يقدم ....

عبد الرحمن : أف ... أف

بدر : ماذا فى الأمر ، كفانا الله الشر ؟

عبد الرحمن : أولئك النسوة . . . أولئك النسوة . . .

بدر : عرفت . . . عرفت ... ولكن علينا أن نرعى جانب « أميرة القصور » .

عبد الرحمن : ليس على أن أرعى جانب أحد . . . هذه امرأة تريد أن تشترينى بمالها شراء العبد الرقيق !

بدر : و « رواح » المسكينة ... ما ذنبها فى أن تهمل جانبها ؟

عبد الرحمن : « رواح » ؟ عجيب أمر « رواح » . . . أنثى تجحد أنوثتها كل الجحود ، وتستكره نفسها على شىء ليس فى طبائع النساء .

بدر : تبتغى مرضاتك . . . تحسب أن ذلك سبيل إلى اكتساب قلبك العصى .

عبد الرحمن : وهل هذا إلا ملاحقة ؟ وإن كانت بسلاح آخر...

بدر : والثالثة أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : تعنى « ضحى » ؟

بدر : إنها راضية بحظها منك ، لا تلاحقك بما تكره . .

عبد الرحمن : لست أدرى ماذا تبيت لى « ضحى » ؟ إنى لأحس

أنفاسها الحارة تلفح وجهى . . .

بدر : هلم إذن لنرطب وجهك بالنسيم البليل فى حديقة القصر . . . هل لننعم بساعة صفاء بين أزهار الطبيعة تتسلى بها عما تلق من أزهار «حواء» . . النساء ! . . .

عبد الرحمن : أزهار «حواء» ليس فيها الشوك المسنون . . . النساء . . . دعنى من النساء . . . إنى ماض لأستبدل بثيابى، هذا موعد انعقاد المجلس للنظر فى حاجات الناس ولعل القوم قد أقبلوا على فناء القصر .

ينصرف كل منهما من باب . . . . .
« أميرة القصور » تبدو فى احتراس ،
وتومئ بيدها لشخص غير منظور ،
فيلوح « أبو الصباح » . . . . . .

أميرة القصور : إننا خاليان هنا فى البهو ، ولكننى أهاب أن يفجأنا أحد . . .

أبو الصباح : وماذا فى أن نتراءى معا ؟ ألم نتلاق غير مرة ؟ أيستريب بى أحد ؟

أميرة القصور : كلا يا « أبا الصباح » . . . فأنت فى منأى عن الشبهات . . . ولكن . . .

أبو الصباح : وماذا تحذرين إذن؟

أميرة القصور : (لمتوجسة) قلبي يحدثني بأن مكروها يوشك أن يقع . . .

أبو الصباح : تفكرين فى النكوص عما عاهدتنى عليه ؟

أميرة القصور : لا يا « أبا الصباح » . . . إن عزمى على الوفاء ليزداد من قوة ورسوخ . . .

أبو الصباح : الحكمة تقضى بأن نفرغ من الأمر . . لقد اتخذت الأهبة ، وأحسنت التدبير . . . سيكون لى قيادة الجيش كله غير منازع . أما أنت فلك الهيمنة على خزائن القصر . وإليك فى شئونه الأمر والنهى .

« أميرة القصور » تصمت هنيهة ، وهى
تفكر فى حيرة واضطراب . . . . .
« أبو الصباح » يستأنف قوله : . . .

ما برح قلبك خفاقا بحبه !

أميرة القصور . (وقد تمالكت) أنا أحبه ؟ ... لا بل أكرهه . . أمقته ! . . .

أبو الصباح : كفى ما لقينا من خداعه ومنكره ... إنه رجل لا يعنيه إلا نفسه . . . فهو يتخذنى ويتخذك مطية

لإدراك مأربه... طالما وعدنى ومنانى ، ولم ينجز
لى من وعوده وأمانيه إلا التوافه الهينات...
وأنت ، ألم يعدك فلم تلق منه إلا إخلاف الوعود؟

أميرة القصور : حقا... حقا... إنى معك فيما تقول!

همهمة وخفق أقدام ....
« أميرة القصور » تقول مرعجة...

القوم قادمون...

« أبو الصباح » و « أميرة القصور »
يتراكضان وهما يتساران.......
« بدر » يقدم مصطحبا لمة من أصحاب
المظالم والعفاة..........
ثلة من الجند يتوافد.........
« منارة » يبدو ومعه « رواح » فى
لبوس الفتيان............
« سابق بن مالك » يحضر.....
الجمع يأخذون مجالسهم متفرقين فى أنحاء
البهو..........
« عبد الرحمن » يهل عليهم فيحيونه
فيرد التحية............

الجمع : السلام على الأمير...

عبد الرحمن : عليكم سلام الله....

يتخذ مجلسه على تكرمة فى صدر البهو

بدر : (مناديا أصحاب المظالم) ليتقدم كل ذى مظلمة إلى الأمير . . .

المتظلمون يتزاحمون ويتدافعون بالمناكب بينهم شاب عملاق متوكىء على عصاه ، يغمز بقدميه يشكو الظلع ، فيزحمه القوم حتى يكبو ، فيعجل اليه « بدر » ليعينه قائلا فى صيحة : . . . .

لا يا أصحاب المظالم . . . تقدموا فُرَادى . . . واحدا بعد واحد . . .

يشير إلى شيخ أشيب على رأسه طرطور دارت به عمامة . وعلى جسده بزة غير عربية . قائلا له :

تقدم أنت يا حامل الطرطور . . .

الرجل يتقدم . . . .
« بدر » يتأمله ، قائلا : . . . .

عمة ، عجيبة ، وجُبَّة أعجب . . . ما أظنك إلا من بقايا القوط !

القوطى : لم يخب ظنك يا سيدى . . .

عبد الرحمن : ماذا يبغى إلينا شيخ القوط ؟

القوطى : دارى أيها الأمير ، أشعل النار فيها جنود

« أبي الصباح » ، ودمروها شر تدمير ، فلم يبق لى ولا لعيالى فيها ملاذ يحمينا . . .

عبد الرحمن : سنبعث اليك من يشهد دارك، ثم ننظر فى إصلاحها لك ولعيالك .

القوطى : أتم الله على الأمير نعمة النصر والتوفيق .

يحى وينصرف . . . .

بدر : (مشيرا إلى واحد من الجمع) تقدم أنت . . .

يتقدم رجل ذو أنفة ، رزين السمت ، وزين الخطو . . . .

عبد الرحمن : (للرجل) اذكر حاجتك أيها الرجل الأنوف .

الأنوف : أن تحمينى وأهلى . . .

عبد الرحمن : ممن تطلب أن أحميك ؟

الأنوف : أطلب أن تحمينى منك . . . منك أيها الأمير .

عبد الرحمن : وهل سبق إليك منى عدوان يارجل ؟

الأنوف : لقد وقع العدوان علىّ من أحد رجالك ، وأنت عنهم مسئول . . .

عبد الرحمن : ومن ذا الذى اعتدى عليك ؟

الأنوف : عظيم دولتك « أبو الصباح » . . .

صمت لحظات . . . .

عبد الرحمن : ماذا كان من أمر « أبي الصباح » معك ؟

الأنوف : اقتحم عليّ الدار في عصبة من أعوانه ، وهمّوا أن يستبيحوا حرمى ، فرددتهم على أعقابهم بعد لأى ، ولا آمن أن يكروا عليّ مرة أخرى ، وأخشى ألا أستطيع دفعهم عنى . وإنى أستعديك عليهم ، فاصرف عنى كيدهم ، صرف الله عنك السوء . . .

عبد الرحمن : (حازم اللهجة) لا تخش من بأس . . . ارجع إلى دارك . . . أنت وحرمك في حماى . . .

الأنوف : حماك الله يا حامى الأعراض !

ينصرف رافعا يديه بالدعاء . . . . .

بدر : (مشيرا إلى العملاق الطالع المتكيء على عكازه) وأنت ماظلامتك أيها العملاق ؟

العملاق : (متحاملا على عكازه في خطوه) إنى رجل أشكو النقرس ، لا أستطيع الخطو إلا بجهد ، ولكنى سعيت الى الأمير لأرفع إليه ظلامتى ، وأنا لا آمن أن يسعفنى منطق في حضرة الأمير ، فكتبت الظلامة في رسالة .

يضرب بيده في صدره ، فيخرج ورقة مطوية ، ويحاول أن يتقدم بها ، فتخونه قدماه ، فيتوجع مستندا إلى عكازه . .

بدر : (للعملاق) قف مكانك ، لا تشق على نفسك ...
سأتسلم الرسالة منك . . .

عبد الرحمن : (ناهضا) أنا الذى أسعى إليه ، فما السعى فى سبيل
ردّ المظالم إلا قربة إلى الله وزلفى .

« عبد الرحمن » يتدانى من العملاق ،
ويتناول منه الرسالة ، ولا يكاد يبسطها
تحت ناظرية حتى يستل العملاق من
نطاقه خنجرا يهاجم به على « عبد الرحمن »
محاولا أن يصيب منه مطعنا . . . . . .
« رواح » تصرخ ملقية بنفسها على
« عبد الرحمن » تفتديه ، فتتلقى الطعنة
وتخر على الأرض . . . .

بدر : (صائحا) شُدُّوا على الخائن المغتال .

الجند يتكالبون على العملاق ، وما يزالون
يضربونه حتى يثخنوه ، ويشدوا وثاقه .
« بدر » يواصل أمره إلى الجند . . .

غلقوا الأبواب ... خذوا من تحوم حولهم الشبهات
لا يفلت منهم أحد

هرج ومرج . . . .
« عبد الرحمن » ، يميل على « رواح »

بعنيا بها « منارة » يقبل عليها متلمساً إياها
بعض الخدم يعدو « رواح » على حشية :

رواح : (وهى تحتضر ، تقول لعبد الرحمن) حمداً لله على أنك نجوت أيها الأمير ... أموت قريرة العين بأنى فديتك !

عبد الرحمن : لا بأس عليك يا « رواح » ... أنت فى عافية إن شاء الله ... ستشفين من جراحك لا محالة ...

ينهض ، قائلا « لمنارة »

احملوها الى الحجرة المجاورة ، ولتعنوا بها جهد العناية ...

بعض الخدم يحملون الحشية عليها « رواح » وينصرفوا بها مع « منارة » .....
« عبد الرحمن » وقد مثل قبالة العملاق المقاتل ، وهو مثخن من الضرب ، لا يكاد يقيم صلبه من الاعياء ، يقول له : ...

ماذا جرّأك على هذه الفعلة الآثمة ؟ هل أسأنا إليك ؟

العملاق : (وقد تهالك على الأرض ، يقول متحشرج الصوت) لا والله ما حملت ضغناً لك ، ولا سلفت منك إساءة

إلىّ . . . لقد غـرّرُوا بى ، قاتلهم الله !

عبد الرحمن : أخبرنى من حرضك على أن تغتالنى ؟

العملاق يجمجم : . . . .

بدر : (يتقدم منه فى تلطف) اعترافك ياهذا يخفف من جرمك ، ويمهد لك سبيل الرفق بك . . . والأمير قريب العفو مِسْـمَاح .

عريف الجند : (وقد وضع شباة سيفه على رقبة العملاق يغمزه بها) انطلق . . . أجب الأمير عن سؤاله لك .

العملاق : (وقـد أدركه التخـاذل ؛ يغمغم متلعثما) « أبو الصباح » . . . لا صَبَّحَه الله بخير !

بدر : من ؟ أفصح . . . اجهر بقولك . . .

العملاق : (واضح الصوت) « أبو الصباح » . . . لا أحد غير « أبى الصباح » !

همهمة بين الجمع يدور فيها اسم « أبى الصباح »

عبد الرحمن : (وهو يتنهد ، كأنه يفكر) « أبو الصباح » ؟ . . . « أبو الصباح » !

يقول لعريف الجند ، مشيرا إلى العملاق .

ألقوه فى غيابة السجن . . لا تمسوه بسوء . . .

حتى نأمر أمرنا فيه . . .

الجند ينصرفون بالعملاق ومعهم «بدر»
« منارة » يقدم ، والأسى مرتسم على
أساريره فيقول له «عبد الرحمن» :

ماذا يا « منارة » ؟

منارة : (خافضا هامته) البقاء لله أيها الأمير . . . لفظت « رواح » آخر أنفاسها ، لاهجة باسمك ، داعية لك بطول العمر . . .

عبد الرحمن : (فى شىء من التعجل) وأسفا عليها . . . إلى رحمة الله يا « رواح » !

يصيح وكأنه يحس خلاصه من حمل كان
ثقلة . . . .

فلتُقَم لها جنازة مهيبة، وليشيَّد لجثمانها ضريح عظيم!

« منارة » ينصرف . . . .
« أبو الصباح » يهرول إلى البهو محنقا
محوطا بأشياعه . . . .

أبو الصباح : (ثائرا) أنبئتُ أن الغادر الأثيم يحاول أن يلصق بى تهمة شنعاء . . . وما أنا من هؤلاء الذين يتخذون سلاح الختل والغدر . . . لقد نصرتُكَ علانية ، وجهرت بتأييدى لك كل الجهر ، ولو قام بيننا خلاف

لكان عدائى لك سافرا على رءوس الأشهاد . . .
فلا تأذن لقالة السوء !

عبد الرحمن : وهل ثمة من خصومة بينى وبينك يا «أبا الصباح» ؟
أبو الصباح : كلا أيها الأمير ، ولا قدر الله .
عبد الرحمن : ألسنا على وفاق ؟
أبو الصباح : وأى وفاق ؟ ... تبارك الله !
عبد الرحمن : فلتثق بأن «عبد الرحمن» لا يُلق أذنا صاغية لمثل هذا الغادر المختال . أنت من رجالى الخلص يا «أبا الصباح» .
أبو الصباح : وسيظل سيفى مسلولا فى سبيل نصرتك أيها الأمير...
عبد الرحمن : لازال سيفك مسلولا فى سبيل نصرة الحق يا «أبا الصباح» . ستعود الى «أشبيلية» أميرا عليها ، وسندعوك إذا عرضت الحاجة إليك . . .
أبو الصباح : سلمت أيها الأمير ودمت . . .

يحى وينصرف مع أشياعه ، وهم يقعقعون بالسيوف . . . .

عبد الرحمن : (لمن بقى من الجمع) انصرفوا بسلام .

بقية الجمع يغادرون البهو . . . . . .
«عبد الرحمن» يشير إلى «سابق بن مالك» أن يبقى معه ، ثم يقول له فى سرار : . .

«أبو الصباح» عائد إلى «أشبيلية» فى شيعته ، فلتتبعهم
فى شرذمة من رجالك دون أن يعلم بكم أحد . . .
أفاهم أنت يا « سابق » ؟ !

سابق : السمع والطاعة لمولاى .

عبد الرحمن : وعليك أن تذكى العيون والأرصاد على «أبى الصباح»
وأن تحكم حوله النطاق ، حتى لا يفوتك من نبئه
دقيق أو جليل ..

سابق : أفعل يا مولاى .

« عبد الرحمن » يومىء إليه ، فينصرف
عن البهو . . . .
« بدر » يقدم ، فيجد « عبد الرحمن »
خاليا يفكر . . . .

بدر : (مهتاجا) لقد برح الخفاء ، وثبت أن «أبا الصباح»
كان قد ائتمر بك ليقتلك ، ولم تكن نجاتك فى حسبانه ،
فكيف تجزيه على سوء فعلته بأن تؤمره على «أشبيلية» ؟

عبد الرحمن : الحزم عين الحزم ما صنعتُ يا « بدر » .

بدر : أى حزم فى أن تطلق مجرما أثيما أضمر لك الشر ،
ونَوَى بك السوء ؟ !

عبد الرحمن : لقد تغابيت وتغاضيت . . . وبعض الحزم أن
أتغابى وأن أتغاضى . . .

بدر : ثم ماذا بعد ؟

عبد الرحمن : أنسيت يا « بدر » ما كان بيني وبين « أبي الصباح » من مشارطة في أول عهدي معه؟ أنسيتَ ما ألزمني به ثمنا لمناصرته إياي ؟

بدر : لم أنس ياسيدي يوم جاءك رسوله يتشرّط ، وأنت تقبل ما يعرضه ويفرضه .

عبد الرحمن : لقد قبلت يومئذ شرطه ، وإني موف به . . . فيم سؤالك إذن عن موقفي من « أبي الصباح » ؟

بدر : معذرة أيها الأمير ... يبدو لي أني أصبحت غبيا !

عبد الرحمن : وهل كنت من هذا في شك ؟

بدر : ولكن ذلك الثعلبان . . . حتى متى ندعه يمكر بنا مكره السيء ؟

عبد الرحمن : تعَلَّمْ يا « بدر » أن المسارعة والعنف لا يبلغان ما تبلغ المصابرة واللين . . . وإن صرعة التدبير والأناة أفتك من صرعة العجلة والتهور . . .

«عبد الرحمن» يتخفف من ثيابه . . .
«ضحى» تقدم،فيسد لها «عبد الرحمن» قدميه فتجلس عندها ، وتخلع عنهما نعليهما ، وتشرع في دلكهما . . . .
«عبد الرحمن» يستأنف قوله «لبدر» .

امض يابنى فهىء لنا مجلس أنس وطرب ، نستمتع
به ليلتنا هذه . . . ما أحوجنى إلى أن أسرى عن نفسى !

بدر : نعم الرأى ما رأيت أيها الأمير . . . لتكون
ليلة بهجة وإمتاع !

عبد الرحمن : بل لتكون لك ليلة تمرح فيها على هواك . سأعفيك
من كل قيد ، لك أن تأكل ما تشاء ، وأن تشرب
ما تشاء ، وأن تنام بعد ذلك ما تشاء ! . . .

الفصل الرابع

العام المتم للخمسين بعد المائة من الهجرة،
وقد انقضى على أحداث الفصل السابق
اثنا عشر عاما . . . .
« عبد الرحمن » في السابعة والثلاثين من
عمره ، موفور الحيوية، مشبوب النشاط
عليه سيماء الإمرة والسلطان ، متخذ
لبوس البياض شعارا له ، معنى بإرخاء
حاشية عمامته على عينه اليسرى . . .
« منارة » فوق الثمانين ، جلل المشيب
رأسه ، وبدا محنى الظهر ، بطىء الحركة،
بهو الأعمدة في قصر « قرطبة »
لا تظهر له أبواب ، فالقادم إليه أو
المنصرف عنه يلوح شبحه بين الأعمدة
أرائك وثيرة في جانب من البهو ، عليها
وسائد ونمارق وسجادات . ستائر من
المخمل خلف الأرائك ، تنسدل على شق
من نافذة مستطيلة ، زجاجها الملون يحمل
نقوشا عربية طريفة . . . .
ضوء الصباح يسفر . . . .
« بدر » و « منارة » يتراءيان في البهو .

« منارة » يطلق ضحكة مديدة تختلج
منها أوصاله . . . .

بدر : (وقد بدا محنقا مغيظا) هذا لا يطاق . . . هذا لا يطاق . . .

منارة : أما قلت لك هدىء من روعك يا سيدى « بدر » ؟ أما نصحت لك أن تتخذ الصبر حليفا لك فى حياتك ؟

بدر : ألم أصبر طويلا ؟ أما كفى ما مضى من أيامى وأنا محتمل يا « منارة » ؟ اثنا عشر عاما مضت ، منذ نودى بالأمير « عبد الرحمن » حاكما للبلاد . وأنا جوّاب آفاق ، لا يقر لى قرار .

منارة : (مبتسما يربت كتف « بدر ») أنت موضع ثقته ، فهو يختارك للمواطن الخطيرة ، تخضعها له . . .

بدر : وقد فعلتُ ، يا « منارة » . . . أليس لى بعد ذلك أن أستريح ؟ أليس من حق أنا وعيالى أن يجتمع لنا شمل ؟

منارة : هون عليك يا « بدر » .

بدر : عدت من « قشتالة » منذ أيام معدودات ، وها أنذا أتلق أمرا بالشخوص إلى البلاد « البشكنس » فى الشمال الأقصى . . . بلاد وعرة المسالك ، محفوفة بالمخاطر . . . لا قِبَل لى بالذهاب إليها . . . سأرغب إلى الأمير فى أن يعفينى من الرحيل .

منارة : وماذا يبغى الأمير بإرسالك إلى هذه البلاد ؟

بدر : يبغى أن أفاوض زعماءها فى بعض الأمور ...

منارة : لابد أنها مهمات جِسام . . .

بدر : لا وحقك . . .

تتلفت حواليه ، وستأنف قوله : . .

اسمع واعجب... أميرنا هذا لم يكد يستقر له الحكم ، ويأمن كيد الثائر والمناوئ ، حتى أصبح ولوعا بشىء جديد يتخذه لنفسه سلوة وملهاة... إنه أبى إلا أن يرهق رجاله بالرحلة بعد الرحلة ، فهو يبعث بهم إلى الثغور النائية ، والقاع الوعرة ، موهما إياهم أنهم يؤدون له وللبلاد جليل الخدمات .

منارة : (يهز رأسه ، وكأنه يناجى نفسه) حقا لقد ناله الكثير من الإرهاق ، وقضى أيامه مشتت الشمل ، دائم الارتحال

بدر : (مسترسلا) أعجب العَجَب أنه بينما يستقدم أهله من الشام ، ويلم شمل ذويه من «بنى أمية» نراه يعمل على تشتيت شمل رجاله وأعوانه فى «الأندلس» ... لا ... لا ... لابد أن ألقاه ، لألفته عن رأيه فى إشخاصى ذلك البلد البعيد .

« ضحى » تلوح حاملة مناشف وقوارير مملوءة بالعطر . . . .

«بدر» يهرع اليها ، مستوقفا إياها ، قائلا :

هلا أخبرتني سيدتي «ضحى» أميرة الغواني متى ألقى الأمير؟

ضحى : ما برح الأمير في الحمام يا «بدر» .

بدر : (كاظما غيظه ، متلطفا) في الحمام ؟ . . . قولى شيئاً غير هذا . . . هل يقضى الأمير يومه كله في الحمام ؟

ضحى : لقد رجع من نزهة الصيد التي خرج لها في ساعة السحر ، وغاب عنك ياسيدى «بدر» أن يوم الصيد يتطلب من الأمير قضاء وقت أطول في الحمام . . .

بدر : ثمة مهمات جليلة الشأن تنتظره .

ضحى : أتعنيني مهماتك أنت أم مهمات الدولة ؟

بدر : (مندفعا) وهل مهماتنا إلا مهمات الدولة ياسيدتي «ضحى» ؟

يستدرك اندفاعه ، ويستأنف : . . . .

وهذا «أبو الصباح» قدم . . . هل أنهيت إلى الأمير نبأ قدومه ؟

ضحى : الأمير على علم . . .

بدر : عليك إذن أن تحثيه على الخروج .

ضحى : ليس من شأنى أن أفعل . . . أنت أدرى بما للأمير من طباع .

بدر : ألا أستطيع أن أعرف متى يزايل الأمير الحمام ؟

ضحى : كل شيء في القصر رهن مزاج الأمير . . . لا يملك أحد أن يعرف ماذا يكون من أمره فيما يأخذ وما يدع . . .

منارة : (لضحى) لا أحسب أن فطنتك قد غاب عنها مايحوم حوله « بدر » ...

ضحى : تقصد رحلته إلى بلاد « البشكنس » ... هي التي تشغل باله.

بدر : (مستعطفا) أيروقك أن أرحل ياأميرة الغوانى ؟

ضحى : (فى مداعبة) من يرضى غَيْبَة « البدر » ؟ !

بدر : هلا عَمِلْتِ إذن على أن يبقى هذا البدر ، أو تكون له مهلة قبل أن يغيب ؟

ضحى : أصارحك يا سيدى « بدر » بأن الأمير مصر على إزحالك ولكنى سأبذل وسعى فى صرفه عن عزمه .

بدر : لاأنسى لك هذا الصنيع ماحَيِيت .

يلمح فى يدها قوارير العطر ، فيتناول منها قارورة ، ويشمها قائلا : . . . . .

ما أطيَب هذا العطر !

ضحى : إنه عطر البنفسَج . . . لا يطيب للأمير عطر سوه .

« بدر » و « منارة » يصيبان من القارورة قطرات . . . .

« ضحى » تسترد القارورة ، وتقول :

إنى منصرفة . . . الأمير يرقب عودتى . . .

بدر : على بركة الله . . .

يقول فى استهزاء . كأنه يتحدث إلى نفسه :

البنفسج . . . ما أشد حرص الأمير على هذا البنفسج . . . يتطيب بعطره ، ويملأ حدائقه بزهره . . وهو لا يستطيع أن يميز بين رائحة ورائحة !

منارة : أخفض من صوتك يا « بدر » .

يلتفت حواليه ، ثم يستأنف قوله : ..

وإنه ليأمر الجوارى بأن يطلقن فى بهاء القصر بخور الورد ، وينهى أن يُتَّخذ بخور سواه .

بدر : لقد عاقب إحدى الجوارى على ظن منه بأنها أطلقت بخور الصندل ، على حين أنها كانت أمينة فى إنفاذ أمره ، لم تحِدْ عنه ... شدّ ما يثير أنف الأمير متاعب له ولأتباعه !

منارة : صَه . . . لا ترفع صوتك .

يحد بصره خلال الأعمدة ، ثم يستأنف قوله : . . . .

ألمح قادما . . .

بدر : (ناظرا حيث نظر « منارة ») هذا « المروانى » أمير الجيش ومعه آذن من رجال القصر . . .

« عبد الملك بن عمر المرواني » يبدو

مع تابع ، وهما يتحدثان فى خطوها الوئيد ....

منارة : هذه فرصة سنحت لك، لا تفوتها عليك ... تحدث إلى أمير الجيش فى شأنك ، عسى أن يعينك ، فهو كما تعلم أخلص خلصاء الأمير من ذوى قرابته وأحب الناس إلى قلبه ، وهو عنده مسموع الكلمة ، مستجاب الشفاعة . . .

بدر : سأفعل ، وأنظر ما يكون . . .

« المرواني » يتقدم رافع الهامة ، عليه علائم عزم حزم ....
« بدر » ومنارة » يتقدمان إليه يحييانه

المروانى : (محييا) « منـــارة » . . . « بدر » . . . سلام عليكما . . .

بدر ومنارة : (فى توقير بالغ) على أمير الجيش السلام .

المروانى : فيم قدومكما الساعة ، والصباح جديد ؟

بدر : جئت أرجو الأمـــير ألا يعجل برحيـــلى إلى « البشكنس » .

المروانى : طالما أخذ الأمير عليك التذمر والتلكؤ فيما يكلفك من أمر .

بدر : ورأسك ياسيدى ماتذمرتُ ولا تلكأتُ ...

المروانى : ها أنت ذا تعتل على الأمـــير فى الرحيل إلى « ربشكنس » .

بدر : إنما أبغى مهلة استجمام أمضيها بين عيالى وأهلى .

المروانى : (مترددا) سأعالج أن أكلمه لك فى هذا الشأن .

بدر : لاعَدِمتك نصيرا يا سيدى « المروانى » !

المروانى : لقد أنهوْا إلىّ أن الأمير فى الحمام ، أتظنة يظل فيه طويل وقت ؟

بدر : (مستيئسا) علم ذلك عند ربى .

المروانى : (فى قلق خفى) فلأنصرف الآن ، على أن أعود بعد ...

منارة : لو أعلمناه بقدومك ، لعجل بالخروج .

المروانى : (بعد تردد) ليس فى الأمر مايدعو إلى التعجل ...

يغدو ويروح فى البهو حيران ، لايدرى أيمكث أم يمضى

بدر : هل كان صيد الأمير موفقا فجر اليوم ، حين خرجت معه ياسيدى « المروانى » ؟

المروانى : (وقد ارتاح لإطالة الحديث كى يسوغ له الانتظار) كان موفقا غاية التوفيق ... كان صيدا شائقا .

بدر : عاد أميرنا مشغوفا بالصيد ، بعد أن تركه منذ شغلتْه المهمات الجسام ...

المرونى : إنك لتراه اليوم فى طليعة الصيادين ، يتعقب أصناف الحيوان فى جدّ ، فكأن بين الأمير وبينها ثأرا قديما .

بدر : (مبتسما فى تخابث) هذا يبعث على العجب والحيرة . . .

المروانى : وفيم العجب والحيرة ؟

بدر : لاشيء . . . خاطر مر ببالى . . .

المروانى : هلا أفصحتَ عنه ؟

بدر : كان الأمير مصروقا إلى تعقب الانسان ، فلماذا استتب له الأمر لم يبق أمامه إلا أن يتعقب الحيوان !

يقبل على « منارة » « مستأنفا » قوله :

ولكننى إنسان ، ولست بحيوان . . . فلماذا يتعمدنى بالملاحقة والتعقب ؟

المروانى : ماذا تعنى ؟

بدر : أعنى أن الأمير ولوع بالملاحقة ، على أى نحو تكون !

المروانى : شأن الجندى الأصيل . . .

منارة : (فى ضحكة خفيفة) بل شأن المنتقم الذى يثأر لنفسه . . .

بدر : (ملتفتا إليه) ألم يقض أميرنا فجر شبابه يتعقبه الولاة والحكام ، منذ ولى عن « الفرات » ، إلى أن قر قراره فى « الأندلس » ؟

المروانى : (وهو شارد الفكر ، ذاهل عن الحديث) نعم . . .

نعم أحسَبُ أن الأمير مطيل مقامه فى الحمام . . .
أعود بعد فترة . . .

ينصرف مشيعا بالتحية والتوقير . . . .

بدر : (لمنارة) ما باله بادى القلق ؟ ما أظنه إلا يريد الامير
لشأن ذى خطر !

« منارة » صامت يومىء إيماء من لا
يدرى جلية الأمر . . . .
« بدر » يستأنف قوله . . . .

إخالنا مقبلين على أحداث جسام .

يحدق إلى « منارة » يسأله . . . . .
« منارة » يستمسك بصمته . . . . .
« بدر » يتابع قوله : . . . .

هذا « أبو الصباح » لايكاد يحل المدينة حتى تتطاير
الشائعات من كل صوب وحدب . . . ما رأيك بربك ؟

« منارة » لا يجيب . . . .
« بدر » يقول : . . . .

لقد استدعاه الأمير لكى يعقد بمحضر منه خطبة
ولده البكر « سليمان » إلى ابنته الحسناء ، وذلك

ابتغاء توثيق أواصر الود ، والتماسا للقضاء على ما بينهما من خصومة وشقاق، فهل تركن إلى قبول هذا الزعم ؟

يحدق إلى « منارة » كل التحديق . . .
« منارة » لاينبس . . . .
« بدر » يصيح : . . . .

ألا تنطق ؟ . . . قل كلمة واحدة . . .

منارة : (وقد ضاق صدره) أما كفانى ما يغرقنى به الأمير فى كل لحظة من أسئلة لاينضب لها معين ؟

بدر : (متدانيا منه ، خافض الصوت) ماذا تقول ؟ أيضايقك الأمير بأسئلته حقا ؟ وعم يسألك ؟

منارة : عن كل شىء . . . يطلب أن أتكهن له بكل مايشغل خاطره ، يريدنى على أن أتعرف له طالعه وطالع كل من حوله ،سواء أكانوا من الأنصار أم من الأعداء... لقد أصبح استخبار الطالع عنده هوسا ملازما له، ونزعة قاهرة لايملك منها الفكاك ...وياليت الأمر مقصور على طوالع الناس، فقد جاوزه إلى استجلاء خفايا الكون من نبات وحيوان وجماد . . .

بدر : عجيب . . . عجيب !

منارة : لقد شرعتُ أتعلم منطق الطير ، فإن الأمير بات يسألني ماذا يعني بسقسقته العصفور ؟ وماذا يبغي بتغريده العندليب ؟ إنك لتراني هنالا أكاد أريم للقصر ، لكي ألبي نداء الأمير ساعة النداء ، والويل إن أبطأتُ عنه كل الويل

بدر : وفيم هذا العناء ؟

منارة : لم يعد له غنى عني ، كأني جزء مكمل له . . . أف لهذا أفّ !

بدر : حُسبتك سعيدا بحالك فإن الناس يغبطون مكانك من الأمير ، وينظرون نظرة الغيرة إلى حياتك التي تحياها في كنفه ، حياة الترف والنعيم في القصر المنيف !

منارة : بل حياة السجين المضيق عليه ، لا نصيب له من الحرية والانطلاق... حياة العبد المصفد بأغلال من ذهب . . . حياة الطائر في قفص مرصع بالجوهر !

بدر : شتان بيني وبينك ... أنا أشكو الترحل ، وأنت تشكو القرار !

منارة : حَسْبُنا ما أفضنا فيه من حديث . . . أريد أن آوى الى ركن أنعم فيه بغفوة .. فقد أزعجني الأمير من نومي في أخريات الليل ، لكي أرى له طالع يومه في

الصيد ، ولم تغتمض لى عين حتى الآن .

بدر : هيا بنا ...

يتأهبان للمضى . . . .
« ضحى » تلوح ، وبين يديها صرة فيها
مناشف وثياب مستعملة . . . .
« بدر » يهرع اليها ، مستوقفا إياها ،
قائلا . . . .

أما آن للأمير أن يبارح الحمام ؟

ضحى : من أين لى أن أعلم يا سيدى « بدر » ؟

بدر : (متملقا) كيف لا تعلمين يافاتنة الفاتنات ؟ . . ألست منه على مقربة ؟

ضحى : وماذا يجدى القرب منه ؟ الأمير يفرغ من الحمام وقتما يحلو له أن يفرغ . . أمامك « منارة » فاسأله أن يتكهن لك بموعد خروجه .

« بدر » ينظر الى « منارة » . . . . .

منارة : (لضحى ، صائحا) حقا لم يكن يعوزنى إلا أن أتكهن بموعد خروج الأمير من الحمام ،

« منارة » ينصرف ضائق الصدر .....

بدر : (مستأنفا حديثه مع « ضحى » فى تملق) دعينى من

« منارة » ، وأخبرنى أنت ، فعندك الخبر اليقين . . .
أسألك هل انتهى من المنطقة العليا ، فشمل
الرأس والصدر ، وانحدر الى المنطقة الأخرى ،
فقارب الساقين والقدمين ؟ !

ضحى : (متضاحكة ، فى معابثة) لا يا سيدى « بدر » . . إنه
مازال فى المنطقة العليا .

بدر : (ضارعا ، رافعا يده) يا لرحمة السماء !

يسمع صوت الأمير . . . .
« ضحى » ترهف السمع . . . .

عبدالرحمن : (صوته من بعيد) « ضحى » . . . « ضحى » . . .

ضحى : (صائحة) لبيكَ يا مولاى . . .

تقول « لبدر » فى عجلة . . . .

الأمير يناديني . . . خذ هذه الصرة . . .

تقذف بصرة المناشف والثياب المستعملة
فى حضنه ، وتواصل قولها فى سرعة :

اذهب بها الى المغسل . . . على الفور !

تمضى مهرولة . . . .

بدر : (وقد احتضن الصرة على كره منه، يتصايح) لا تنسَىْ ما رغبت إليكِ فيه عند الأمير... لا تنسىْ...

«بدر» يقف لحظة وسط البهو، يرمق الصرة فى ضيق، ويهمهم فى تأفف..

إلى المغسل... لقد غدوتُ بحمد الله قهرمانا أحمل الثياب المستعملة إلى المغسل، وأتلقى الأوامر والنواهى من الجوارى والحظيات!

يقذف بالصرة على الأرض، وينظر إليها فى غضب. تتناهى الى سمعه أصوات، فيتلفت حوله فى ذعر. ينحنى على الصرة فيحملها وينطلق بها زائغ البصر، يحاذر أن يلقاه فى طريقه أحد........

«عبد الرحمن» يلوح فى لبوس الإمارة، و«ضحى» وراءه.........

عبد الرحمن : (لضحى) أما أمرتكِ أن تعدّى لى النعل الحمراء المطرزة؟...

ضحى : بها بعض فتوق يامولاى...

عبد الرحمن : هاتيها... وأصلحى من فورك فتوقها.

ضحى : أعلم أن الأمير يخص هذه النعل بعناية ملحوظة... كان ينتعلها فى أكثر معاركه الظافرة!

تتوسمه في تلطف وابتسام ، وتسائله :

أيزمع مولاى الأمير أن يخوض اليوم غمار معركة ؟

عبد الرحمن : أطيعى أمرى ، ولا تسأليني .

ضحى : سمعاً وطاعة يامولاى .

تغادر البهو . . . .

« عبد الرحمن » يخطو ، عاقدا يديه خلف ظهره ، باديا عليه التفكير ، ثم يقف رافعا رأسه بغتة . . . .

عبد الرحمن : (منادیا) « منارة » . . . « منارة » . . .

يعاود السير في خطا سراع . . . .
يواصل نداءه . . . .

« منارة » . . . « منارة » . . . أين أنت أيها المكسال ؟

منارة : (صوته من بعيد) هأنذا يامولاى .

عبد الرحمن : تعال إلىّ . . .

« منارة » يظهر وهو يلم شمله ، وينفض عن عينيه أثر النوم : . . . .
« عبد الرحمن » يقول . . . .

كنت نائما لاريب . . . إياك أن تنكر . . .

منارة : (في تلطف وتأدب) وهل النوم على عيني حرام يامولاى ؟

عبد الرحمن : لو تُركتَ وشأنك لما استيقظتَ أبدالدهر . . . كيف ترضى لنفسك هذا الخمول ، والناس كلهم فى يقظة دائبة ؟ . . . تقدم .

« منارة » يتقدم متباطئا . . . . . .

« عبد الرحمن » يقول . . . .

افسحْ من خطوك . . . انظر لى طالعى الساعة .

منارة : (متسائلا فى تعجب) الساعة ؟

عبد الرحمن : ماذا يحجم بك أن تفعلَ يارجل ؟

منارة : (مستدركا) لايمنعنى ما نع . . . بيد أنى أريد أن أجمع شوارد قواى الروحيـــة ، فأهيئ نفسى لاستشفاف الطالع . . .

عبد الرحمن : حَسْبك بعض لحظات . . .

يتركه ويذرع البهو بخطاه . . . .

يرجع اليه قائلا . . . .

هل اجتمعت لك قواك ؟

منارة : (فى خضوع) كادت تجتمع . .

عبد الرحمن : عجل ، وانظر الطالع . . .

« منارة » يتدانى من « عبد الرحمن » ويتفرس فى وجهه ثم يتناول كفه ، ويتفحص أساريرها

منـارة : ثمَّةَ دماء . . . دماء حالـكة كأنها مهجة الليل . . .
دماء تموج وسط إعصار فيه نار .

« منارة » يصمت . . . .

عبد الرحمن : ثم ما ذا ؟

منارة : (لا فتاوجهه) لقد كلَّ بصرى ، فلم يعد يرى من شىء !

يغمض عينيه ليريحهما . . . .

عبد الرحمن : (يتعجله) ثم ماذا ؟ أعد نظرا . . .

« منارة » يقبل على كف « عبدالرحمن »

منارة : (وهو يتفحص أسارير الـكف) لا أرى غير
الدماء السود . . . وسط إعصار صاخب .

عبد الرحمن : أليس ثمة شعاع ؟

منـارة : (وهو منكب يقرأ الـكف) لا شعاع . . .

عبد الرحمن : (يصيح مغضبا ، وقد جذب يده جذبة يسقط منها
« منارة » على الأرض) حقا لقد كل بصرك . . . بل
إنك لمشرف على العمى . . . عمى البصيرة !

منـارة : (وهو طريح الأرض) ناشدتك الله يا مولاى ألا
تزج بنفسك اليوم فى مخاطرة .

عبد الرحمن : اغرب عنى . . قلت لك لا ترنى وجهك . . . ولـكن

لا تبرح حجرتك . . . ارتقب ما آمرك به . . .

« منارة » ينهض فى جهد ، ويجر نفسه جرا . . . .
« بدر » يلوح شبحه بين الأعمدة فى خطوات متلصصة، فما إن يشهد « منارة » فى حالته المهينة ، ويرى « عبدالرحمن » مغضب الملامح ، شديد التصايح ، حتى يجفل راغبا فى العودة ، بيد أن « عبد الرحمن » يلمحه . . . .

عبد الرحمن : (صائحا « ببدر ») تقدم ... تقدم ... ما بالك تتردد ...

« بدر » يقبل متكلفا الابتسام ، وهو يفرك إحدى يديه بالأخرى . . . .
« عبد الرحمن » يقول له . . . .

ماذا أبطأ بك عن إنفاذ أمرى إليك بالرحيل ؟

بدر : لم أعص لك أمرا يامولاى . . . ولكن ثمة رجاء أطمح أن تحققه لخادمك الماثل بين يديك . . .

عبد الرحمن : (متصبرا ، عاقدا يديه خلف ظهره) ما رجاؤك ؟ إنى مصغ إليك . . .

بدر : (وقد خانته رباطة جأشه ، فتلعثم) رجائى . . . رجائى . . . أحسبه يظفر بعطفك . . . أرجو مهلة أيام غير طوال . . . أطال الله عمرك . . .

عبد الرحمن : (مقاطعا إياه) كفاك لغوا ... أنت الآن راحل لابد ... أسامع ماأقول ؟

بدر : (مغمغما) الآن ... الآن ...

عبد الرحمن : الآن ... وإلا ساءت العقبى !

بدر : سأنفذ أمرك يامولاى ...

عبد الرحمن : (وهو يتردد فى البهو حائر الخطو) واهامنكم يارجاله الدولة ، كلماأردت أن ألقى على عاتقكم بعض أحمالى لتؤازرونى ، ألفيتكم تتفرقون عنى ... ياالخيبة أملى فيكم ... التغرب .. الرحيل ... إنه الشبح المرهوب الذى يقض مضاجعكم ، وقد نسيتم ما عانيته أنا من تغرب ورحيل ، ومن مفارقة للأهل والوطن ، ولولا ذلك لما نبه لى ذكر ، ولادان لى وطر ..

يلتفت إلى « بدر » صائحا ....

امض لطيتك ، وأنفذ ما أمرتك به ...

بدر : سمع وطاعة ...

ينصرف متعثرا فى خطوه ....
« ضحى » تبدو فى يدها النعل الحمراء المطرزة التى طلب « عبد الرحمن » أن تمدها له ....

« عبدالرحمن » يجلس على مقعده ، ويمد قدميه . . . .
« ضحى » تنزع من قدميه النعل التي يحتذيها ، وتضع فيهما النعل الحمراء . . . .

عبد الرحمن : حسنا . . . حسنا . . . اذهبي واستقدمي لى « سابق ابن مالك » . . . .

ضحى : أمرك يامولاى .

تترك البهو . . . .
« عبد الرحمن » يرمق النعل الحمراء في قدميه هنيهة ، فتبدر منه ضحكة ، تعقبها قهقهة ، ثم يخيم عليه صمت التفكير . . . يمشى فى البهو خطوات تفضى به الى النافذة ، فيزيح عنها الستار شيئا، ويهمهم :

عبد الرحمن : دماء سود تموج فى إعصار صاخب . . . ولا من شعاع !

يحتد صوته ، ويمتد الى الأفق البعيد بصره : . . . .

هراء وهذر . . بل هناك شعاع . . . شعاع ساطع وهاج !

يبدو « سابق » : . . . .

سابق : (فى صوت منخفض) مولاى !

عبد الرحمن : تقدم يا « سابق » . . . ادن منى . . .

« سابق » يقترب : . . . .
« عبدالرحمن » يقول : . . . .

ازدد منى قربا . . .

« سابق » يستجيب له . . . .
« عبدالرحمن » يميل عليه ، ويقول
فيما يشبه الهمس : . . . .

هل فرغت من تدبير ما أمرتك به ؟

سابق : أنفذتُ مشيئتك .

عبد الرحمن : أكنتَ وعيتَ قولى حرفا حرفا ؟

سابق : وعيته أيما وعى . . .

عبد الرحمن : الغلمان لا يتحرك منهم أحد إلا حين أشير .

سابق : إلا حين تشير أيها الأمير . . .

عبد الرحمن : حسن . . . امض لشأنك . . . وراقب . . . وكن دائما على أهبة . . .

سابق : اطمئن إلى تدبيرى ، ولا تحمل للأمر هما . . .

ينحنى متهيئاً للانصراف . . . .

عبد الرحمن : (يلاحقه بقوله) ادع لى « ضحى » ، وليكن معها العُود . .

سابق : أمر مولاى . .

ينصرف . . . .
« عبد الرحمن » قبالة النافذة يرى ببصره
فيما وراءها . . . .

ضحى : (صوتها من داخل ، تنشد على ضربات العود) :

أيها الراكب الميمِّم أرضى   أقْـر من بعضِـيَ السلامَ لبعضى

إن جسمى كما تراه بأرض   وفؤادى وما لـكيـه بأرض

« عبد الرحمن » مصغ الى الإنشاد
وقد هاجت شجونه ، فهامت نظراته فى
الأفق البعيد ، كأنما يستشف بها مواطن
الآباء والأجداد فى الشام . . . . .
« ضحى » يتوضح صوتها بالغناء ، ثم
يلوح شبحها بين الأعمدة ، وهى تتهادى
فى سيرها على هينـة ، معيدة إنشاد
الشعر . . . .
« عبد الرحمن » على حاله يصغى مستغرقا
فى أحلامه وذكرياته . . . .
ينتهى الغناء فيلتفت ناحية « ضحى »
فاذا هى تجـاهه فى يدها العود وإذا
هى منحنية تحييه . . . .

عبد الرحمن : (لضحى) أحسنت إنشاد البيتين ... ما أعذب الصوت !

ضحى : لولا روعة الشعر الذى جادت به قريحتك يامولاى لما كان لصوتى أن يجود فى غنائه .

عبد الرحمن : (وقد رهف حسه ، وتوقدت شاعريته) والنخلة يا « ضحى » ... النخلة الكريمة التى بعثتْ بها أختى من الشام ، فتوليت غرسها فى البستان بيدى : حدثينى حديثها ...

يلقى بنفسه على الحشايا ....

ضحى : ليس أبدع من قولك فيها يامولاى .

تأخذ مجلسها عن كثب من قدميه ، وتنشد على ضرب العود : ....

تَبدَّت لنا وسْط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلتُ شبيهى فى التغرب والنوى وطول ابتعادى عن بنىَّ وعن أهلى

« المروانى » أمير الجيش يلوح من خلال الأعمدة ، متمهلا فى سيره ، على وجهه دهشة لما يرى من مجلس الغناء . « ضحى » تتم إنشادها ، فيتقدم « المروانى » سريع الخطا يحيى الأمير ....

المرْوانى : سلام على مولاى الأمير .
عبد الرحمن : عليك سلام الله يا مَرْوانىّ » . . .

«عبد الرحمن» يومىء الى « ضحى »
أن تنصرف ؛ فتمضى حاملة العود . .
«عبد الرحمن» يشير الى « المرواني »
أن يجلس بجواره فيستجيب . . . . .

المرْوانى : أخشى أن أكون قد قطعتُ على الأمير ساعة الحظ
من الطرب .
عبد الرحمن : إن هى إلا فترة التمست بها بعض الصفو والانتعاش .

يرنو الى « المرواني » وعلى فمه ابتسامة
غامضة ، ثم يقول : . . . .

ألسنا مقبلين على مهْرَجان صفو وإنعاش ؟
المرْوانى : لعل الأمير يشير إلى خِطبة ولده الأمير «سليمان»
الى ابنة « أبى الصباح » . . .
عبد الرحمن : لقد حزرت مقصدى . . .
المرْوانى : مبلغ علمى أن الأمير «سليمان» ليس فى « قرطبة »
عبد الرحمن : لقد أشخصتُه الى «طليطلة» لينجز لى بعض الشأن . . .
المرْوانى : والخطبة ؟
عبد الرحمن : ستعقد الخِطبة . . . ألا يعنى فيها أن أكون أنا

و « أبو الصباح » حاضرين ؟

المرْوانى : لتكن مشيئتك يا مولاى . . .

عبد الرحمن : ما كنت هازلا إذ بعثت « ابن خالد» و « ابن عثمان » ليدعُوا « أبا الصباح » إلى « قرطبة » . . .

المرْوانى : وقد دعواه ، وما زالا به يقنعانه حتى لبى الدعوة . وإنه لقادم الساعة للقاء الأمير . . .

عبد الرحمن : مرحبا به . . . إنى ملاقيه . . . عجيب أمر « ابن خالد » و « ابن عثمان » ! . . . إنهما يأخذان منى بيد ، وباليد الأخرى يأخذان من « أبى الصباح » . إنهما يدقان الطبل من ناحيتيه !

يرسل ضحكة خفيفة . . . .

إنهما من الشطّار . . . ولكن خبرنى كيف تقول إن « ابن خالد » و « ابن عثمان » ما زالا به حتى أقنعاه بتلبية الدعوة ؟ . . . ألم تقع منه موقع القبول بادىء بدء ؟ . . .

المرْوانى : له المعذرة فى أن يكون من هذه الدعوة على حذر واحتياط . فقد تفاقمت بينكما المنازعات . . .

عبد الرحمن : ما حاجته إلى الاحتياط والحذر ، وأنا أدعوه

لإصلاح الأمر، وتوثيق الود، ونبذ الخلاف . . .
ستكون خطبة ولدى الى ابنته فاتحة عهد من الألفة
والوئام . . .

«المرواني» ينهض على قلق وتضايق
«عبد الرحمن» يقول له . . . . .

ألم يطب لك ما أقول ؟

المرواني : الأمير لا يقول إلا الحق والصواب .

عبد الرحمن : (وهو ينهض) دع مما تحاسنني به من القول، وصارحني بما يجول في خاطرك من رأي . . . لا تكتم عني خبيئة نفسك !

المرواني : لم لا تقضي على هذا العدو الألد بضربة حاسمة، كما كان شأنك في كل من ناصبك العداء، وناوأك في الأمر ؟

عبد الرحمن : (باسم الثغر) : لا تستأصل شأفة عدو ترجو صداقته، واستبقه لمن هو أشد عداوة منه . . .

المرواني : ليس في هذه الجزيرة من هو أشد عداء من «أبي الصباح» . . . فلمن تستبقيه أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : أأنت تخشى «أبا الصباح» كل هذه الخشية ؟

المرواني : حسبي أني نبهت الأمير إلى ما يُحْدِق بنا من خطر... لقد دخل «أبو الصباح» المدينة في هذا اليوم دخول الغزاة الفاتحين، تحف به فرسانه أربعمائة، في أهبة من السلاح وعدّة، وعن يمينه صفيه «ابن عثمان»، وعن يساره أمينه «ابن خالد»، وإنه ليطارحهما الحديث كأنهما من وزرائه وأركان دولته... لاريب أنه اليوم أعز نفرا منه بالأمس، أما في الغد القريب...

عبد الرحمن : (يبادره بقوله) لا تتحدث عن الغد... علمه عند الله!

المرواني : أيهون عليك يا «عبد الرحمن» أن ترى ذلك الصرح العظيم الذي جاهدتَ في إعلائه ينهار في طرفة عين؟

عبد الرحمن : (وقد حمي أنفه) حَسْبك يا «مَرْواني» حسبك..

المرواني : (في اندفاع) لقد محضتك النصح، وأخلصت لك القول... لزام عليك أن تستأصل شأفة ذلك الرجل ومن يلوذ به..

عبد الرحمن : (يواجه المرواني في حزم، ويصيح) إني لأعرف الساعة التي أنازل فيها خصمي، ولكني...

المرواني : (وقد فترت حدته، وتراجع) ما أردت أن أثيرك

وإنما بعثني على المصارحة فرط الغَيرة عليك ،
فليغفر لى مولاى جِمَاح القول .

عبد الرحمن : لا عليك . . . كل ما أرغب إليك فيه أن يكون
مَن تحت إمرتك من الجند فى تمام الأهبة ، لا أستثنى آنا
من ليل أو ساعة من نهار . . .

المروانى : إنهم يرتقبون صوت النداء ، فادعهم وقتما تشاء ،
وانظر كيف يكون الجواب .

لحظات صمت . . . .
« عبد الرحمن » فى البهو ذاهب آيب .
آذن يقدم . . . .

الآذن : « أبو الصباح » يا مولاى ينتظر إذنك فى القدوم
عليك . . .

عبد الرحمن : (صائحا) فليقدم الآن . . .

الآذان ينصرف . . . .
« عبد الرحمن » يجول فى البهو فسيح
الخطو ، على محياه عزيمة ومضاء . . . .
يقف تجاه « المروانى » . . . .

عبد الرحمن : (ويده على كتف « المروانى ») عليك الآن أن
ترقب الأحداث فى يقظة وانتباه .

الآذن يعود . . . .

الآذن : (جهير الصوت) « أبو الصباح » أمير « أشبيلية »

« أبو الصباح » يهل فى حلة ثمينة فضفاضة متئد السير ، متخذا شارة المهابة والاعتزاز »
وعلى جانبيه « ابن عثمان » و « ابن خالد »
« من ورائهم ثلة من رجال القصر ووجوه الدولة . . . .
أحراس من جند « عبد الرحمن » ينتشرون فى أرجاء البهو ، فى مقدمتهم « سابق بن مالك . . . .

أبو الصباح : (محييا) السلام على الأمير « عبد الرحمن » . . .

عبد الرحمن : (متدانيا منه ، متلقيا إياه فى حفاوه) وعلى صهرنا العزيز تحية وسلام .

الحاضرون يتخذون مجالسهم فى البهو .
« أبو الصباح » عن يمين « عبد الرحمن »
و « المرواني » عن يساره . . . . . .

أبو الصباح : (فى لهجة مهذبة لا تخلو من استعلاء) يسعدنى أن أصْهِرَ إلى أمير البلاد . . . هذه الخطبة السعيدة جديرة أن تقطع ألسن الوُشاة الذين أشاعوا عنه شائعات السوء ، حتى توهم الناس أن كُلًّا منا يضمر لصاحبه العداء . . .

عبد الرحمن : عداء ؟ أى عـــداء ؟ شدّ ما يطمس الناس حقائق الأشياء . . . قُصَارَى ما بيننا تنافس نبغى به خير هذا الوطن . . .

يصفق بيديه تصفيقة خاصة لها مغزى .
«سابق بن مالك» يخرج من البهو
شاهرا سيفه ، ولا يلبث أن يعود وخلفه
«ضحى» ملثمة بخمار من حرير . وبين يديها
وسادة عليها شيء مغطى . . . . . .
«ضحى» تتقدم الى «أبي الصباح» . .
الحاضرون يتطلعون . . . .

عبد الرحمن : (لأبى الصباح) مفاجأة طريفة ، حَرِية بمقدَمك الميمون . . . فلتكشف الغطاء عن الوسادة يا « أبا الصباح » .

«أبو الصباح» يستجيب ، فيتجلى خنجران
مرصعان ، يلتمع لهما نصلان حادان . . .
مهمة تسرى فى الجمع . . . . . .

أبو الصباح : (متأملا ما يرى) خنجران ؟

عبد الرحمن : نَصلاهما كريمان . . . تأملهما . . . وازن بينهما ، فلعل أحدهما يفضُل الآخر . . .

أبو الصباح : (يقلب الخنجرين بين يديه) إنهما يتماثلان

وزنا ورَهافة نصل .

عبد الرحمن : خذ أحدهما . . .

أبو الصباح : هدية ثمينة وَايمُ الله .

يستبق أحد الخنجرين . . . .

عبد الرحمن : لى الآخر .

يتناوله من يد « أبي الصباح » ويجهر
بقـوله . . . .

ما قولك يا أبا الصباح » ؟

مفاجئا . . . .

إنى أدعوك الى المبارزة،فاشهَر ْخنجرك ، واقتلنى
به.إن قدَرت .

المهمهة تعلو فى الجمع . . . .
« أبو الصباح » تأخذه البغتة ، فيرمق
« عبد الرحمن » متسائلا . . . . . .

أبو الصباح : امازح أنت أيها الأمير ؟

عبد الرحمن : لامزاح يا « أبا الصباح » ... إنه الجد كل الجد...
ألم يسبق لك أن دسست خنجرا كهذا فى يد فتى
مأفون ، ليغمده فى صدرى . . . كان ذلك منذ
اثنى عشر عاما . . . أنسـيتَ ؟

أبو الصباح : (ممتقع الوجه) أمازلت تأذن لوشايات السوء ؟
عبد الرحمن : إنى لأواجه عدوى، لا أطعنه فى ظهره، وإنى لا أريد أن أبعثها حربا من أجلك تشقى بها البلاد ولا مناص من أن يموت أحدنا ليحيا الآخر . . .
أبو الصباح : كيف ؟ ألا يتسع حكم « الأندلس » لنا معا ؟
عبد الرحمن : لا قبلَ للبلاد باحتمال سيدين يتنازعان السلطان ... حَتْم أن يكون الحكم لسيد فرد . . .

يقف ، فلا يملك « أبو الصباح » الا أن يقف مثله . فينهض الجالسون جميعا . .
« المرواني » يلتحم المشهد ظاهر الاهتياج .

أبو الصباح : وتريد أنت أن تكون السيد الفرد ؟
عبد الرحمن : إذا شاءرنى . . . طعنة من خنجر، فيها القول الفصل.
أبو الصباح : وإذا سقطنا معا ، وخنجر كل منا مغمد فى صدر صاحبه ؟
عبد الرحمن : فليكن . . . لكيلا تكون منافسة، ورَبا لهَا يعم البلاد.
أبو الصباح : ولماذا اخترت الخنجر ، ليحسم الأمر ؟
عبد الرحمن : إنه أفتك فى القتل ، وأشفى للغل .
أبو الصباح : ولكن الخنجر فى يدى مثل السيف فى يدك .
عبد الرحمن : مادمت أنا الداعى إلى المبارزة فلأحتمل . . . بهذا أريح ضميرى ، إذ أيسر لك فرصة الظفر بى .

أبو الصباح : لو أنك أنصفتنى فى أمسك ، كما تنصفنى اليوم من نفسك لما تحرج الأمر بينى وبينك .

عبد الرحمن : هذا يوم انتقام لا يوم عتاب . . . فاثأر لنفسك من ظلمى إياك .

أبو الصباح : لقد طابت نفسى لك ، فلنتناس مامضى، ولنتصافح... هلم إلى . . . دعنى أقبلك

يتدانى منه . . . .
«عبد الرحمن» يرفع يده بينه وبين «أبي الصباح» ، مانعا إياه أن يقترب منه ؛ قائلا له :

لا تتعجل القبلة .. فإنما هى بعد أن تنجلى المبارزة ... الظافر الذى سيتولى حكم البلاد وحده ، هو الذى عليه أن يقبل جبين الطعين المهزوم ، ذلك الذى حرم البلاد وحدة الحكم واجتماع الكلمة . . تأهب يا « أبا الصباح » !

كلاهما يخلع طيلسانه ، ويشمر عن ساعده

عبد الرحمن : إلى الفناء واختر المكان الذى يروقك...ولا يتبعنا أحد

ينصرفان . . . .
« المرواني » يعجل إلى رئيس الأحراس . فيسر إليه أمرا ، فينصرف لينفذ الأمر .
« المرواني » يستأنف تتبعه للمشهد ،

وبده على مقبض سيفه . . . .
الجمع ومعهم « ضحى » يشهدون المبارزة
التى تجرى فى الفناء خارج البهو وكلهم فى
قلق وجزع ، هذا و« ضحى » التى وقفت
فى مقدمتهم تنقل إلى الجمع وصف ماترى
بالحركة والإشارة والايماء ، يلوح على
محياها الهلع تارة والفرح تارة ، وتند
عنها مرة صرخة الخشية والحذر ، ومرة
صيحة التحمس والاستبشار . . . . . .
الجمع خلف « ضحى » يرقبون المبارزة
متهامسين ، تتعاقب على سيمائهم أمارات
السخط والاعجاب . . . .
الصمت يهيمن بغتة . . . .
المبارزة فى لحظه فاصلة . . . .
الأعناق مشرئبة ، والعيون جاحظة . .
« ضحى » تصيح صيحة عارمة ، وتغطى
وجهها بيديها . . . .
« أبو الصباح » يبدو ظهره فى البهو ،
فلا يلبث أن يستقبل الجمع بوجهه ، ولكن
سرعان ما يخر على الأرض صريعا . .
يتجلى « عبد الرحمن » مبهور الأنفاس،
ملقيا بالخنجر من يده . . . .
« ضحى » تهرع اليه جاثية عند قدميه،
تقبل ذلاذل ثوبه . . . .
« عبد الرحمن » يربت رأسها . . . .
رئيس الأحراس يعود . . . .

عبد الرحمن : لا يبرح البهو أحد .

المروانى : الأبواب كلها موصدة يامولاى ...

عبد الرحمن : (رانيا إلى «أبى الصباح» فى مسقطه على الأرض)
فليُحمَل أخى «أبو الصباح» إلى الحجرة المجاورة
فى حفاوة بالغة ... وليوسد رأسُه وسادة مطرزة
بالذهب ... كان من أركان دولتى ، وكان محاربا
شجاعا شديد البأس فى القتال ، وقدمات ميتة نبيلة ...
فليكرَّم أجمل تكريم ...

« سابق بن مالك » يتقدم فى ثلة من
الأحراس ، فيحملون جسمان «أبى الصباح»
« عبد الرحمن » ينحنى على جسمان أبى
الصباح » فيقبل جبينه ، وهو يقول ..

هاك قبلة الظفر !

الأحراس ينصرفون حاملين الجسمان .
« عبد الرحمن » يواصل قوله صائحا .

فليأت « منارة » على عجل !

أحد الأحراس يمضى لينفذ الأمر ...
«عبد الرحمن» يتقدم إلى «ابن عثمان»
و « ابن خالد » فيحدجهما بنظراته ،
ثم يقول ....

أتؤثِران مثل هذا المصير ؟ أم تختاران مصيرا غيره ؟

ابن عثمان : (فى ثبات المهزوم) لك الأمر وحدك . . . فاقض ما أنت قاض !

عبد الرحمن : (للمروانى) فَلْيُنْفَيَا فى أقاصى الثغور . . .

المروانى : أمر مولاى .

« المرواني » يشير إلى رئيس الأحراس أن يقبض عليهما ، فيستجيب منصرفا بهما .
«منارة» يبدو وهو يجرر نفسه فى جهد
«عبد الرحمن» يلاحظه . . . .

عبد الرحمن : (صائحاً) تقدم يا « منارة » . . . ماذا أنت قائل فيما تكهنتَ به لى صبح اليوم ياشيخ الزور !

منارة : (متلعثما) مولاى الأمير . . . أيدك الله بالنصر . . .

عبد الرحمن : (مقاطعا إياه) عليك أن تسجن نفسك فى حجرتك . لا تبرحها إلا حين آذن لك ، وليكن طعامك الخبز القَفار . . . أنْفِذْ أمرى . . .

منارة : السمع لك والطاعة . . .

يدبر فى خطى متعثرة . . . .

عبدالرحمن : (للمروانى) اخرج إلى فرسان «أبى الصباح » فانثر عليهم بِدَرَ المال ، وتعهدهم بالعطايا والمنح ، وأمّنهم على أنفسهم ، وليعلموا أن ليس للبلاد إلا أمير

واحـــد ، يخضعون لحكمه ، ويدينون له بالسمع والطاعة . . . هو « عبد الرحمن الأموى » أمـير « الأندلس » كلها غير منازع . . .

المرْوانى : (هاتفا) ليحيي« عبدالرحمن »أمير «الأندلس»... ليحيي « صقر قريش » !

الأحراس وغيرهم من الحاضرين يرددون الهتاف . . . .

الفصل الخامس

بعد أحد عشر عاما من أحداث الفصل السابق . . . .

العام الحادى والستون بعد المائه من الهجرة . . . .

« عبدالرحمن » فى الثامنة والأربعين من عمره مكتمل الزعامة ، شديد الاعتزاز بالنفس . . . .

ناحية من شمال مدينة « سرقسطة » يقوم فيها معسكر « عبد الرحمن » .

رحبة من سرادق ، تتراءى فيها بسط ثمينة ، تناثرت عليها حشايا ووسائد .

عن اليمين فرجة واسعة ، هى الباب الأكبر للسرادق ، منه تلوح خيام وأعلام ، وجند فى جيئة وذهوب ، وعلى رأس الفرجة ثلة من الأحراس . . . .

راية بيضاء تتجلى خفاقة عن كثب من الفرجة . . . .

فى وسط الرحبة فرجة ثانية تتسدل عليها ستارة مطرزة ، يقوم خلفها مجلس « عبد الرحمن » . . . .

عن اليسار فرجة أخرى ضيقة ، لاتكاد تستبين للعين ، هى منفذ الى مساكن الأتباع . . . .

الوقت صدر النهار ....
« سابق بن مالك » رئيس حجابه
الأمير « عبد الرحمن » يبدو من الفرجة
الوسطى ، سريع الخطو ، على وجهه علائم
الاهتمام ، وفى يده قرطاس مختوم ...

سابق : « ابن مسعود » ... « ابن مسعود » ...

« ابن مسعود » يقدم ....
« سابق » يرفع إليه القرطاس قائلا : .

تلك رسالة مولانا الأمير إلى « المرواني » أمير الجيش ... اركب من فورك جوادك ، واقصد معسكره ، واطلب لقاءه ، وأسلم إليه الرسالة ، لا يأخذها منك أحد غيره .

ابن مسعود : أفعل يا سيدى .

سابق : لا تنس أن فصائل جيش « قارلة »(شارلمان) تعشش فى شعاب الجبال، قريبا من معسكرنا هذا .. . حاذر أن تسقط الرسالة فى يد الأعداء .

ابن مسعود : سأفديها بدمى .

سابق : امض على بركة الله .

« ابن مسعود » ينصرف ....

« سابق » يستدير فى وقفته ليعود
فيلوح أمامه الآذن « حسان » . . . .

حسان : « يعقوب النخاس » هبط المُخَيَّم فى جمع من الجوارى ، وهو يلح فى طلب لقاء الأمير .

سابق : الأمير فى مجلس حرب ، اذهب ، فألق «بيعقوب» وجواريه بعيداً عن المُخَيَّم .

حسان : أمرك يا سيدى مطاع .

« حسان » ينصرف . . . .
« سابق » يعود من حيث أتى . . . .
« هرقل » القزم لاعب الشطرنج ، يقدم
من فرجة الأتباع الصغرى ، تحت ابطه
رقعة الشطرنج ، وهو يتلفت فى محاذرة ،
ثم ينتحى ناحية من الرحبة ، فيجلس
باسطا الرقعة ، ملاعبا نفسه . . . . . .
« ضحى » تقدم من باب السرادق . . .

ضحى : (وقد رأت « هرقل ») « هرقل » . . . لاعب الشطرنج الأشهر .

هرقل : سيدتى « ضحى » . . .

ضحى : لا أجدك إلا منكبا على الرقعة تلعب ... وإن لم يكن معك لاعب !

هرقل : (فى تظرف) إنى أدبر لعبة جـــديدة . . . لعلى أغلب بها الأمير .

ضحى : كيف تغلبه وأنت تستضعف له ، وتتصنع الهزيمة معه ؟

هرقل : إنى لأتصنع الهزيمة خشية بطشه ... إذا واتانى الحظ فى اللعب ، فانتصرت عليه ، ضربنى خمسة وعشرين سوطا ، حتى دَمِىَ ظهرى من السياط !

ضحى : (متضاحكة) يا له من ثمن للانتصار عظيم !

هرقل : لم يعد تصنعى للهزيمة مجديا فى نجاتى من سياط الأمير . . . انكشفت له حيلتى ، فحتم علىّ اليوم أن ألا عبه مخاطرة على رهان ، وألا أتصنع معه الانهزام ، وإلا كانت عقوبتى خمسين سوطا على ظهرى . . . هأنذا أعد العدة لتلك المباراة الخطيرة التى أخشى فيها النصر والهزيمة معا !

ضحى : فلتحتمل ما يحمّلك الأمير إياه يا « هرقل » . . . إن لعبك بالشطرنج معه يتيح له ساعة لهو وتسلية ... وعلينا جميعا أن نبذل ما فى وسعنا لكى نوفر له جانبا من الصفو والإيناس .

هرقل : هذا حق . . . الأمير يصل ليله بنهاره فى جدّ وكد . . . وما أحوجه إلى أن يرفه عن نفسه بعض وقت !

ضحى : منذ أحد عشر عاماقضى على «أبى الصباح» وحسبنا يومئذ أن ذلك خاتمة المآسى ، وأن الأمير متفرغ لتدبير شئون البلاد فى طمأنينة وأمن ، ولكن الأحداث تتوالى ، والقلاقل لا تهدأ .

هرقل : وتلك هى البلية التى واجهناها فى هذه الأيام . . . غزو قارلة « شارلمان » للبلاد ، يحاول أن يجلى المسلمين عنها بجيشه الجرار .

ضحى : رد الله كيده فى نحره .

هرقل : أرأيت كيف ضرب الحصار هنا على « سرقسطه » ، حتى ظن أنه غالب عليها ، ولكنها استعصت عليه ، فارتد عنها محسورا خزيان !

ضحى : لا تنس أن فصائل من جيشه ما زالت منتشرة فى شعاب الجبال ، وأن هذه الفصائل تعوق جيشنا عن التقدم للإيقاع به ، وإقصائه عن تخوم «سرقسطة» .

« حسان » الحاجب يقدم فيهمس « لضحى » بكلمات ، فتجيبه فى تأمر وإصرار . .

لا ، بل يجب أن يبقى . . . إنى ماضية من فورى للقاء الأمير . . .

تهم بالانصراف . . . .
« حسان » يخرج . . . .

هرقل : سأمضى ملتمسا لنفسى خلوة ، لكى أعد العدة لمباراة اليوم .

« هرقل » يمضى . . . .
« سابق » يقبل من الفرجة الوسطى ،
فيواجه « ضحى » . . . .

سابق : ما بالك متعجلة ؟

ضحى : وما بالك تتعجل أنت أيضا ؟

سابق : وهل لى من عمل إلا شئون الدولة ؟

ضحى : وأنا كذلك لا عمل لى إلا هذه الشئون . . . أرغب فى عرض شىء منها على الأمير . . .

سابق : لا تلقَىْ الأمير هذه الساعة . . . لقد خلا بقواده ليدبِّرَ معهم كيف يجلون الفصائل من جيش العدو ، تلك التى انتشرت فى الشِّعاب ، لتحمى ظهر الجيش المعتصم برءوس الجبال . . .

ضحى : وأنا أيضا أشارك فى تدبير هذا الأمر .

سابق : ماذا تدبرين لإجلاء العدو ؟

ضحى : سأدعو « يعقوب النخّاس » ليحضر هو وجواريه .

سابق : لقد أمرت بطرده من المعسكر .

ضحى : ألم يبلغك أمرى بإبقائه ؟

سابق : إنك تعبثين . . . تعرضين نفسك للمكروه .

ضحى : لست أدرى أينا العابث ، وأينا الذى يعرض نفسه للمكروه ؟

سابق : أتحسبين الأمير فارغا لشئون الجوارى ، وبين يديه الجسام من مهام الدولة ؟

ضحى : نفس الأمير لاتخلو من جانب للجمال ، وإنه ليولى هـذا الجانب اهتمامه حتى فى أحرج المواقف . . . أنا أدرى منك بنفس الأمير . . .

سابق : لاننكر أن أميرنا شاعر مطبوع .

ضحى : وإنه لمشغوف بالزهرات الناضرات من الجوارى الحسان ، يقبل على شرائهن ، ويجمعهن تحت كنفه .

سابق : لكأنهن جيش آخر تحت لوائه . . . بيد أنه جيش من الجنس الناعم اللطيف .

ضحى : أحَسبت أن جوارى الأمير يحظينَ عنده بشىء من المتعة والأنس ؟ لاوربك ، إنه قانع من الزهرات بالمنظر الحسن ، لاتهفو نفسه إلى أن يهتصر العود ، أو يعتصر الرحيق . . . هواه الأول وغرامه الأصيل مقصور على الأندلس ، فهى تملك عليه مشاعره .

سابق : حقا . . . ما أخلصه للأندلس . . .

كلاهما يتأهب للانصراف . . . .
يسمعان حسا ووقع خطا . . . .
« سابق » يقول :

لابد أنه الأمير . . .

« عبد الرحمن » يلوح فى ثلاثة من قواده

عبد الرحمن : أريد نساء . . . أريد نساء .
سابق : (مهمهما فى دهشة) نساء ؟
عبد الرحمن : فى مستطاع المرأة أن تبلغ أحيانا ما لا يبلغ الرجل .

يوجه حديثه إلى « ضحى » . . . . . .

أليس الأمر كذلك يا « ضحى » ؟

ضحى : الأمير أصوب رأيا منى . . .
عبد الرحمن : أريد نساء . . .

« هرقل » يبدو عن اليسار وهو يتدحرج
حاملا رقعة الشطرنج . . . .

هرقل : هأنذا يا مولاى .
عبد الرحمن : ماذا جاء بك ؟ لقد طلبت نساء . . . أمن النساء أنت ؟

« هرقل » يجمجم متلعثما . . . .
« عبد الرحمن » يتابع قوله :

أجبنى يا « هرقل » ؟

هرقل : (متوسلا إلى « ضحى ») أتر ضَيْنى بين النساء ؟

عبد الرحمن : اغرب عن وجهى .

« هرقل » يتدحرج منصرفا . . . ، . . .
« عبد الرحمن » يجلس مفكرا . . . .
القواد يتحدثون إلى « سابق » فى سرار .
« ضحى » عند قدمى الأمير شاخصة
البصر إليه . . . .
« عبد الرحمن » يقول للقواد : . . .

إذن لا سبيل إلى إجلاء العدو عن الشِّعاب . . .

أحد القواد : إن العدو معتصم برءوس الجبال ، لائذ بالكهوف والشعاب ، يرمى بالسهام كل من يسلك الطريق .

عبد الرحمن : ما أبرعها خطة دبرها « شارلمان » ... إنه يسد الطريق أمامنا حتى لا نستطيع أن نجليه عن تخوم « سرقسطة » وأن نلحق بجيشه الكبير ، ننزل به الهزيمة كلها .

القائد الأول : لم يستطع جندنا أن يصعدوا إلى هـــذه الشعاب لينتزعوها من يد العدو ، كثيرا ما حاولوا ، ولكنهم فى كل مرة تساقطوا كأوراق الشجر واحد بعد واحد .

عبد الرحمن : ليتنا نوفق إلى حيلة نطهر بها تلك الشعاب من العصابات المبعثرة . . .

القائد الثانى : لو وفقنا إلى ذلك لاستطعنا أن نحاصر جيش « شارلمان » من جانبيه .

القائد الثالث : وإذن يقع الالتحام بين جندنا ومؤخرة جيش « شارلمان » .

عبد الرحمن : (صائحا) أعرف هذا . . .

فترة سكون : . . . .
«عبد الرحمن» يميل على «ضحى» الجاثية عند مهبط قدميه ، فيمسح على رأسها بيده . . . .
الثلاثة القواد يتحرفون قليلا عن المجلس ، ومعهم « سابق »
« عبد الرحمن » يتحدث الى « ضحى » خافض الصوت :

صبيحة أنت يا «ضحى»...وإنك لحانية عطوف .

ضحى : حسبي منك هذا الإطراء يا مولاى .

عبد الرحمن : (وهو ساهم) هيهات أن أجد الراحة إذا غبت عني .

ضحى : ستزداد شوقا الىّ ، وشغفا بى .

عبد الرحمن : (محدقا إليها) ولكن كيف يكون الحال إذا فقدتك يا « ضحى » ؟ . . .

« ضحى » تقبل ركبتيه . . . .

لحظات صمت . . . .

« عبد الرحمن » يجهر بقوله :

ماذا فى أن نبعث بسرب من النساء بحلين العدو السارب فى شعاب الجبال ؟

سابق : سرب من النساء ؟

القائد الأول : وأى جدوى فى أن نبعث بسرب من النساء ؟

عبد الرحمن : أليس جنود العدو رجالا من البشر ؟ أليسوا ناسا مثل سائر الناس ؟ لقد طال مكثهم فى تلك الشعاب يعانون الشظف والحرمان : وهم يلمحوننا من مدى قريب ، ونحن ننعم بما يعزّ عليهم أن ينالوه من رفاهة ومتاع ونساء . لابد أن شهوة السبي والاستيلاء على أطايب الغنائم قد بلغت ذروتها من نفوسهم الملهوفة . . . فإذا لاح لهم سرب النساء تهافتوا عليه مسرعين .

القائد الثانى : ولكن هذا السرب من النساء مقضىّ عليه بالسبي أو الموت . . .

عبد الرحمن : عليكم أن تنقذوه مما يتعرض له من الأخطار . . . سترقبون خطوات السرب من حيث لا يراكم

العدو ... سيبصر الوحش الجائع طعاما تتحلب
له أشداقه .

« عبد الرحمن » ينهض واقفا

سيترك أوكاره منقضًّا على الفريسة الشهية . . .
وهنا لك تبرزون له ، وتحيطون به ، ضاربين
بالسيوف ، طاعنين بالرماح .

يمثل الموقعة بالحركة والإيماء

فريقا يحمى سرب النساء ، وفريقا يحتل الشعاب ،
ويتعقب من فيها من جيش العدو . . .

ضحى : وكيف يكون الأمر إذا لم يستطع جندنا إنقاذ
سرب النساء ؟

عبد الرحمن : كيف ؟ ينتقلن من قضاء الله فى الأرض إلى قضاء
الله فى السماء !

القواد يبدوا عليهم عجب واستنكار
« عبد الرحمن » يحملق فى « ضحى »

القائد الثالث : ومن أين لنا سرب النساء اللاتى يرتضين لأنفسهن
هذه المخاطرة والاشتشهاد ؟

ضحى : سأدبر الأمر . . .

توجه الحديث إلى « عبد الرحمن » : :

مولاى .. حضر « يعقوب النخاس » يعرض صنوفا من الجوارى .

سابق : وهل تصلح الجوارى لهذه المهمة ؟ أخشى أن يفسدن الخطة ، متى عرفن أن مصيرهن السبي أو الموت . . .

القائد الأول : لاشك أنهن سينتحبن ويولولن على طول الطريق ، فتنكشف الحيلة .

« عبد الرحمن » يرمى بنفسه على المقعد مفكرا فى قنوط . . . .

ضحى : (مقبلة عليه) دع لى أن أدبر الأمر . . .

عبد الرحمن : وماذا أنت فاعلة ؟

ضحى : يأمر مولاى بادىء بدء بشراء الجوارى من « يعقوب النخاس » وأداء الثمن إليه .

عبد الرحمن : (مشيرا إلى « سابق ») افعل من فورك .

« سابق » ينصرف : . . . .

« عبد الرحمن » ينظر إلى « ضحى » . .

ضحى : (فى عزم) سيمضى سرب النساء كما تريد .

عبد الرحمن : أفصحى .

« ضحى » تشير إليه اشارة يفهم عنها أنها تطلب أن تحدثه على حدة . . . . . .

«عبد الرحمن» يقول لقواده . . . .

خذوا أهبتكم ، لكى تكونوا وراء سرب النساء ، إذا قُدّر له أن يسير .

ينصرفون . . . .

يقول «لضحى» : . . . .

ماذا دبرتِ من أمر ؟

ضحى : يعتق الأمير هؤلاء الجوارى بعد شرائهن . . .

عبدالرحمن : ثم ماذا ؟

ضحى : ينادى الأمير بإشخاصهن إلى ديارهن على الهوادج ، محمّلات بهدايا ثمينة تدل على جود الأمير وسخائه . . . سأبلغهن هذا كله .

ترنو الى وجهه متسائلة . . . .

عبدالرحمن : (متعجلا أتمّى حديثك . . . ثم ماذا ؟

ضحى : ستعلو أصواتهن بالغناء فرحات حين يخترق سربهن شعاب الجبال .

عبد الرحمن : ومن أين لك أن ينفذن ذلك على نحو ما تصفين ؟

ضحى : سأكون طليعتهن فوق محفة ، أتغنّى ، فيرددن الغناء . . .

عبد الرحمن . ومن أباح لك أن تتركينى ؟ من أباح لك أن تعرّضى نفسك للتهلكة ؟

ضحى : (فى صرامة وجد) أنت !

عبد الرحمن : أرأيتنى رغبت إليك فى شىء ؟

ضحى : إنك لم تتكلم ، ولكن نظرتك لى منذ قليل كان فيها الإفصاح عما تريد .

عبد الرحمن : (ناهضا) إنها مخاطرة . . . ربما لا تعودين .

ضحى : فليكن ما يكون . . . سأظل فى ذاكرتك . . . سأحيا فى مخيلتك . . . سترفرف روحى بجوارك

فترة صمت . . . .

عبدالرحمن : (مهمهما) يا للمرأة إذا أحبّتْ .

يوجه إليها القول فى اهتياج : . . . .

وما ثوابك عندى يا « ضحى » ؟

ضحى : رضاك عنى يا مولاى .

تنحنى على يده تقبلها ، ثم تهوى بفمها عند قدميه فيبادر بأنهاضها ، وتتلاقى نظراتهما ، ويلبثان كذلك هنيهة ، حتى يبسط «عبد الرحمن» ذراعيه ، فترامى « ضحى » على صدره ، ويشتد بينهما عناق . « ضحى » تترك ذراعى «عبد الرحمن»

خارجة من رحبة السرادق . . . .
« عبد الرحمن» ماثل مكانه ، ساهم
لايتحرك ، كأنما هو فى غيبوبة . . . .
« هرقل » القزم يقبل وئيد الخطا، دون
أن يراه « عبد الرحمن » . . . . .
«هرقل» يتناول يد «عبد الرحمن» فيقبلها
«عبد الرحمن» يخيل إليه أن «ضحى»
هى التى تقبل يده ، فيمد أنامله إلى رأس
« هرقل » ليلاطف شعره ، متوهما أنه
رأس «ضحى» . . . .
« هرقل » يطلق ضحكة ابتهاج . . . .
« عبد الرحمن » يستفيق من غيبوبته ،
ويتبين له الأمر فيركل «هرقل» بقدمه،

عبد الرحمن : (لهرقل) أكنت تتجسس علينا أيها القزم الوغد؟

هرقل : أنا يامولاى ؟ إنما أقبلت استعدادا لمباراة اليوم .

عبد الرحمن : (مناديا) « سابق » . . . « سابق » . . .

سابق : (وقد حضر مسرعا) مولاى . . .

عبد الرحمن : إذا مضت قافلة النساء لشأنها فأنبئنى ، واطلب إلى القادة الذين يتبعونها أن يزفوا إلى طوارىء أخبارها فى غير إبطاء .

« سابق » يومىء إيماء الطاعة ويخرج ..

هرقل : متى يأذن مولاى فى بدء المباراة ؟

عبد الرحمن : (صائحا) الساعة ... الساعة . . . أذاكر أنت ما قلته لك ؟

هرقل : إنى ذاكره وواعيه . . . لا مصانعة فى اللعب ولا مهازلة . . .

عبد الرحمن : اللعب بيننا مخاطرة على رهان .

هرقل : أمرك مطاع .

عبد الرحمن : خمسون سوطا على ظهرك إن غلبتك . . . فإذا ساعفك الحظ ...

هرقل : (مقاطعا) لا قدر الله . . . لاقدر الله . . .

عبد الرحمن : فإن لك أن تطلب منى ماتشاء

هرقل : ما أشاء ؟

عبد الرحمن : نعم ، ما تشاء .

هرقل : وإن عز المطلب ؟

عبد الرحمن : (محتدا) أى مطلب لك يعز على ؟ ماذا تبغى ؟

هرقل : (مترددا) أبغى . . . أبغى . . .

عبد الرحمن : قل أيها القزم . . . لا تهيب . . . مطلبك مجاب

هرقل : (مندفعا فى القول) أطلب إحدى جواريك الفضليات . . أطلب « زهراء » ...

عبد الرحمن : (متفرسا فى وجه «هرقل») لقد أسرفت فى طموحك

أيهـا القزم .

هرقل : أما لحت لك بأن مطلى عليك عسير ؟

عبد الرحمن : (فى ترفع وشموخ) لاعسير على «عبد الرحمن» . . .
ستنال « زهراء » إذا غلبتنى .

هرقل : (مبادرا الأمير) لا قدر الله . . . لاقدر الله . . .

عبد الرحمن : ابسط رقعة الشطرنج .

« هرقل » يعد العدة . . . .
« سابق » يقدم . . . .

سابق : بدأت القافلة سيرها وفق الخطة المرسومة .

عبد الرحمن : (مهمهما) حسنا .

«عبد الرحمن» يخطو الى باب السرادق
جهم الملامح ولايلبث أن يعود فيلاحظ
أن «سابقا» لم ينصرف ، فيقول له .

فيم وقوفك يا « سابق » ؟

سابق : (مترددا) لاشىء يا مولاى

يتلكأ فى خطاه بين تقدم وتأخر

عبد الرحمن : هنالك شىء تريد أن تقوله . . . تكلم .

سابق : (متوسلا) « بدر » . . . يامولاى ، خادمك
القديم ، وتابعك الصفى .

عبد الرحمن : (محنقا) ماذا ؟ لقد فرغنا من أمر « بدر » . . .

سابق : (مسترسلا فى قوله) لقد بعث إلىّ برسالة من منفاه القصىّ ، يجدد فيها لك الولاء ، ويمت اليك بسالف الخدمة ، ويطمع منك فى عفو ورضوان ... مازال يرجو أن ترد غربته ، وتُرجع إليه ماصودر من ماله .

عبد الرحمن : (جَهْوَرِىّ الصوت) لقد أنفذت أمرى فى هذا الرجل الملحاح الكسول ... ولا مرد لما أقول ... طالما امتن علىّ فى جرأة وتوقح . . لزام أن يلقى جزاءه

سابق : إنه نادم أشد الندم . . . والصفح عندك مأمول .

عبد الرحمن : فليتندم ما شاء أن يتندم . . . . انصرف لشأنك وكف عن حديث « بدر » ...

سابق : (ينحنى محييا) لك الطاعة يا مولاى .

ينصرف . . . .
« عبدالرحمن » يجلس إلى رقعة الشطرنج ، ويومىء إلى « هرقل » أن يجلس قبالته يشرعان فى اللعب فينقلان قطع الشطرنج فى يقظة وحماس . . . .
أنغام من الموسيقى تلائم أطوار اللعب ، فهى حينا هادئة ، وحينا صاخبة . ولا تنقطع إلا اذا دار الحديث . . . .

عبد الرحمن : (وهو منهمك يلعب) كدت تحاصرنى ... ياللك
من ماكر خبيث .

هرقل : (وهو منكب على الرقعة) أى خبث يا مولاى ؟
إنه تدبير المصاولة والنزال ، خدعة الحرب ...
وأنت أدرى بها منى .

عبد الرحمن : (ونظره عالق بقطع الشطرنج) أتزعم أيها القزم
أن لك بالحرب علما وخبرة ؟ ...

هرقل : علمى بالحرب لا يعدو هذه الرقعة .. وإنها الميدان
فسيح للأقزام .. أمثالى .

يطلق ضحكة شوهاء فيرمقه « عبد الرحمن »
بالنظر الشزر ، فينزعج « هرقل » وينكمش
يتابعان اللعب فى صمت ....
أنغام الموسيقى ترسل ....
« سابق » يلوح ....

سابق : مولاى ...

عبد الرحمن : (ملتفتا الى « سابق ») أعندك نبأ من قافلة النساء ؟

سابق : كلا يا مولاى ... وإنما قدم أمير البحر الساعة .
وهو ينتظر أن تأذن له فى لقائك .

عبد الرحمن : فليقبل .

« سابق » يتصرف . . . .
« عبد الرحمن » ينهض تاركا رقعة الشطرنج
على حالها ، فينهض القزم على أثره . .
أمير البحر يقدم . . . .

أمير البحر . سلام على الأمير « عبد الرحمن » .

عبد الرحمن : وعليك ياأمير البحر السلام . . . ماذا وراءك ؟

أمير البحر : كل مايسر مولاى . . . جئت أنهى إليك أن الأسطول الأكبر قد تم إعداده وفق مشيئتك ، وهو يرتقب كلمة من فمك ، ليضرب فى البحر ، ميمما سواحل الشام .

عبد الرحمن : مرحى ... مرحى ...

يضمه إلى صدره . . . .

أمير البحر : سيرى الخليفة فى « بغداد » أنه أعجز من أن يرد أسطولك عن غزو الشام .

عبد الرحمن : سأسترجع أرض الآباء والأجداد ... سأعيد إلى « بنى أمية » ما كان لهم من إمرة وسلطان .

أمير البحر : متى يأمر مولاى أن يبحر الأسطول ؟

عبد الرحمن : سأخبرك بعد قليل ... لك الآن أن تأخذ نصيبك من راحة واستجمام .

أمير البحر ينحني وينصرف . . . . .
« عبدالرحمن » يذرع الرحبة في ذهاب وأوبة
مهتاج الخطو ، مستغرقا في التفكير ، مهمهما

القافلة . . . قافلة النساء .

« هرقل » يتدحرج ويتواثب أمام
« عبدالرحمن » ، فيقول له : . . . . .

ما هذا ؟

هرقل : يبدو أن مولاي الأمير نسيني ونسي معي المباراة . . .
عبد الرحمن : لم أنسك . . . لم أنس ما وعدتك به .
هرقل : تقصد « زهراء » يامولاي . . .
عبد الرحمن : بل أقصد الخمسين سوطا على ظهرك .

« هرقل » يتحسس ظهره بيده . . . . .
« عبد الرحمن » يتابع قوله : . . . . . .

تقدم ... واستأنف اللعب .

يجلسان الى رقعة الشطرنج . . . . . .
« سابق » يبدو مهتاجا . . . .

سابق : مولاي . . .
عبد الرحمن : أعندك نبأ من القافلة ؟
سابق : العجيب يامولاي أنه لا نبأ .

عبد الرحمن : كيف ؟

سابق : لم يرجع إلينا أحد من الرسل حتى الآن ، ولكن قدم الساعة تجار جوالون كانوا يسلكون الشعاب التي سلكتها القافلة ، فلما سألناهم عنها أنكروا لقاءها .

عبد الرحمن : كيف هذا ؟ لابد أنهم واهمون .

سابق : إنهم يؤكدون أن الشعاب خالية ، وأنهم لم يلمحوا ظلا لسائر .

عبد الرحمن : أين ذهبت القافلة إذن ؟ أين الرجال الذى بعثناهم ليتبعوها ؟ هل انخسفت بهم الأرض أو انطبقت عليهم السماء ؟ أرسل من فورك فوجا من الرجال ينتشرون فى المسالك ، ليتبينوا شأن القافلة التائهة ... عجل .

سابق : (منصرفا) أمر مولاى ...

« عبد الرحمن » مبلبل الخاطر ، يمشى عنة ويسرة . . . .
« هرقل » يحمل رقمة الشطرنج ، مقتفيا خطا « عبد الرحمن » فيتعثر فى سيره ، وتتناثر قطع الشطرنج من يده . . . .

عبد الرحمن : (وقد انتبه من تفكيره متفزعا) ماذا ؟

هرقل : إنها قافلتى . . . تحطمت.

عبد الرحمن : (وقد أحد نظره إليه) لقد أردتَ بهذا أن تفسد اللعبة ، بعد أن تبينت لك الهزيمة الحائقة بك .

هرقل : لا ورأسك . . . لقد كنت من الفوز قاب قوسين . . . ولكن ما حيلتى فى سوء حظى ؟

عبد الرحمن : يا لك من منافق دجال . . . ابسط الرقعة ، ورتب عليها القطع .

« هرقل » ينفذ الأمر
« عبد الرحمن » و « هرقل » يجلسان الى رقعة الشطرنج ، ويشرعان فى اللعب
« سابق » يقدم مهتاجا . . . .

سابق : مولاى .

عبد الرحمن : ماذا ؟

سابق : القافلة فى طريقها ، وقد تجاوزت منطقة الأمان ، وتوغلت فى الشعاب ، فأصبحت فى متناول سهام الأعداء .

عبد الرحمن : من أنبأك بهذا يا « سابق » ؟

سابق : رسول بعث به قائد الجند . . .

عبد الرحمن : أى نبإ إذن ذلك الذى حمله إليك التجار الجوالون ؟

سابق : لقدوضح لناأنهم مخمورون ، وأنهم كانوا يسلكون طريقا غير ذلك الطريق .

عبد الرحمن : مخمورون ؟ مر الجلاد أن ينفذ فيهم عقوبة السكر . . . ألهبوا ظهورهم بالسياط . . . لكل منهم خمسون سوطا لا تنقص .

«هرقل» يتحسس ظهره على غير وعى منه . . . .

سابق : أمر مولاى مطاع .

ينصرف .

عبد الرحمن : (مهمهما) تجاوزت القافلة منطقة الأمان ، وأصبحت فى متناول الأعداء .

يعاود اللعب بالشطرنج . . . .
اللعب يشتد حتى يبلغ الذروة . . .
أنغام الموسيقى تعلو وتفقع : لتعبر عما يجول فى نفس «عبد الرحمن» ، ثم تقف بغتة

هرقل : (صائحا) ضاع الرخ . . . انتصرت يامولاى .

«عبدالرحمن» يحدق إلى رقعة الشطرنج ، متصنعا الاستخفاف ، ولكنه لايلبث أن يركل الرقعة بقدمه ، فتتناثر قطعها ذات اليمين وذات الشمال . . . .

عبد الرحمن : فلتهنأ بانتصارك أيها القزم .

هرقل : (حائرا ، متفزعا) ... مولاى ..

« عبد الرحمن » يخترق الرحلة طولا وعرضا

« هرقل » منكمش فى وقفته .....

« عبد الرحمن » يرمقه بنظرة حامية ..

عبد الرحمن : فيم وقوفك ؟

هرقل : لقد كان اللعب مخاطرة على رهان ... أليس كذلك يامولاى ؟

عبد الرحمن : وإنك لتنتظر أن أؤدى إليك الرهان .

هرقل : لقد وعدنى مولاى أن يهبنى جاريته « زهراء » ...

عبد الرحمن : (متنفخا يتشدق بقوله) ولن يخلف « عبد الرحمن » وعده لأحد ..

هرقل : (يتصايح متحمسا) أطال الله عمر الأمير .

عبد الرحمن : (وقد تدانى من باب السرادق ينادى) « حسان » ... « حسان » ...

« حسان » يقدم مهرولا ....

« عبدالرحمن » يقول له : ....

أسلم ظهر « هرقل » إلى الجلاد ، واطلب إليه أن ينفذ فيه العقوبة على الفور ... خمسين سوطا ... لاتزيد .

هرقل : (مشدوها مختنق الصوت) ... لقد وعدتنى يا مولاى . . .

عبد الرحمن : أما وعدى لك فإنى موف به . . . لاخُلف ولا مماطلة . . . ولكن لابد من أن تنال السياط ظهرك، عقوبة لك على سوء السّيرة ، ومعاقرة الخمر خفية.

هرقل : يمين الله ما ذقت الخمر قط .

عبد الرحمن : أمكذّبى أنت يا « هرقل » ؟

هرقل : عفوك يا مولاى ... ما يكون لى أن أ كذّبك ، وإنما الوشاة بى كثير ، وحسادى يكيدون لى أشد الكيد . . . وما أحسب إلا أنهم يا مولاى ...

عبد الرحمن : (مقاطعا) لا وشاة ولاحسّاد . . . لقد تجرعت الخمر ، ولزام أن تنال عقوبة الشارب الآثيم .

يلتفت الى « حسان » قائلا له . . . . :

انطلق به إلى الجلاد ، ليحسن تأديبه .

« حسان » يسوق « هرقل » منصرفا به من فرجة الأتباع . . . .

هرقل : (جثيا كيما ينظر إلى « عبد الرحمن ») ويا مولاى ... « زهراء » . . .

عبد الرحمن : لاتبتئس . . . إنها لك ،ولكن بعد أن يفرغ الجلاد من شأنه معك .

«هرقل» ينساق مع «حسان» متصايحة مرة فى فرح ومرة فى نحيب . . . . .
«عبد الرحمن» يسير فى الرحبة ذهابا وجيئة . . . .
تسمع ضجة وهتافات فرح واستبشار .
« سابق » يحضر . . . .

سابق : النصر لمولاى . . .

عبد الرحمن : ماذا فى الأمر يا « سابق » ؟

سابق : أتى رسول ينبئنا بأن الخطة قد نجحت أيما نجاح . . . لقد احتلت عساكرنا رأس الطريق ، وأجلت عنه فصائل الأعداء التى كانت مبثوثة ذات اليمين وذات الشمال .

عبد الرحمن : وقافلة النساء ؟

سابق : أبيدت جميعا ، فلم تنج منها ناجية ، ولم يبق من آثارها إلا هذا الخمار المفهاف .

يبسط الخمار فى يده . . . .
« عبد الرحمن » يتناول الخمار فى صمت وسكون . . . .

ترتسم على وجهه مشاعر مختلفة . . . .
«سابق» يقول : . . . .

إنه خمارها يامولاى ... خمار « ضحى »... لقد
رُئيَت تلوح به لجنود الأعداء في بطون الشعاب،
تدعوهم إلى البروز لطلب المتعة واللهو .

صمت جياش . . . .

عبد الرحمن : وماذا يصنع جيشنا الآن ؟
سابق : لقد تقدم أمير الجيش بطائفة من الجند ، ليتعقب
كتائب « شارلمان » . . .
عبد الرحمن : ... سنلحق جميعا بأمير الجيش نشد أزره .
فلتؤذّن فى المعسكر بالرحيل . . .

« سابق » ينصرف . . . .
« عبد الرحمن فى السرادق وحده ،
حاملا بين يديه خمار « ضحى » يتأمله
مهتاج العاطفة ، ثم يدنيه من فمه فيقبله
قبلة حارة . . . .
ينتفض انتفاضه عزم وحماس ، ويلقى
بالخمار على إحدى الوسائد . . . . . .
يتهيأ للخروج ، فاذا هو يرى « أمير
البحر » مقبلا عليه . . . .

أمير البحر : لقد أمر مولاى بأن يتأهب العسكر للسير . . .

فماذا يرى فى شأن الأسطول ؟

« عبدالرحمن » يعقد يديه على صدره »
ويطو بها منه كأنه يستلهم السماء . . .
أمير البحر يتابع قوله . . . .

أيأمرنى مولاى أن أتجه الى المشرق ، لأهجم على مراكب العباسيين ؟

عبد الرحمن : لا . العباسيون إخواننا فى العروبة والدين .. ولا أريد أن أبعثها حربا بينى وبين العباسيين لا يفيد منها إلا العدو . عدونا الألدهو « شارلمان »... انطلق بأسطولك لتحاصر سواحله ، وتضيّق عليه الخناق.

أمير البحر : حبذا الرأى أيها الأمير ... الله معنا، والنصر للمؤمنين !

أمير البحر يحيى وينصرف . . . . .
«عبدالرحمن» واقف وحده فى السرادق
رفغه الجبار المقبل على ساعة حاسمة ،
الواثق بالفوز المبين . . . .

عبد الرحمن : (مناجيا نفسه) لقد خلا وجه الطريق إلى «شارلمان» ... لا مَتخلص له اليوم من هزيمة ساحقة ... ذات لى الجزيرة، وغدوت أميرها الفرد . . . ما كان يدور فى خلدى حين قَدِمت هذه البلاد أنى بالغ فيها

مابلغت من مجد وسلطان ... أين أعوانى الذين كانوا معى بادىء بدء ؟ استهوتهم المطامع ، فانقلبوا أعداء لى منافسين . سقطوا ، من حولى واحدا بعد واحد... وما أردت أن يسقطوا ، ولكنهم إلى حتوفهم سعوا ، وبأظفارهم حفروا قبورا لأنفسهم ... هأنذا أملك الأمر دون معقب . . . صقر ؟ لا ، لست صقرا كما لقّبْتَنِي ياخليفة «بغداد» إنما أنا نَسْر ، ولا يعيش النَّسْرُ إلا وحيدا فى القمم ... نعم ، أعيش اليوم وحيدا ، بعد أن قضيت على أعدائى وأصدقائى معا . . . ولكن بقيتْ لى نفسى ، فى حماية الله ، وفى ظل هذه الراية ... تُرانى أحسنتُ اختيار الوسيلة لبلوغ القمة ؟ أم ترانى أسأت ؟ أكفرت بنعمة أسداها إلىّ صديق ؟ أجحدت جميلا صنعه لى نصير ؟ إيه أيتها النفس ! أجيبيني ، واصدقيني القول ... لا تكتمى عنى جليّة الأمر ...

يشخص ببصره الى باب السرادق ؛ وقد قامت عليه راية « بنى أمية » تخفق بها الريح . يصمت وتتاوعينه رانية الى الراية يستأنف قوله : . . . .

حسبي منك يانفس ... وعيتُ ماتقولين ... فاصمتى.
ولو إلى حين ! ... الفرد فداء القبيلة ، والقبيله فداء
الأمة ، والأمـــة فـداء الراية . . . راية العروبة
والإسلام ! . . .

يمسك عن المناجاة هنيهة ، ثم يقول :

أيتها الأقدار . . . ادفعى بى حيث تشائين . . . فما
أنا إلا رمز من رموزك ، سر من أسرارك ، معْـوَل
من معاولك ... إليك يانفس عنى . . . لاتحاسبيني
أيتها النفس اللوّامة ... ليس عليك حسابى . . .
إنما حسيبى هو الله ! . . .

صائحون : (من خارج) الله أكبر ... الله أكبر . . .

« سابق » يقبل . . . .

سابق : الجيش فى تمام أهبته . . .

« عبد الرحمن » شاهر سيفه ، ضارب
بقدمه الأرض ، متهيء للخروج . . . .

عبد الرحمن : فليتقدم الجيش . . . باسم الله . . . فى سبيل الله !

ختــام

أحدث مؤلفات « محمود تيمور »

ا ـ مجموعات قصصية :

١ — كل عام أنتم بخير
٢ — مكتوب على الجبين
٣ — شفاه غليظة
٤ — شباب وغانيات
٥ — إحسان لله
٦ — خلف اللثام
٧ — فرعون الصغير
٨ — بنت الشيطان
٩ — قال الراوى
١٠ — أبو الشوارب
١١ — أبو على الفنان
١٢ — زامر الحى
١٣ — قلب غانية
١٤ — ثائرون
١٥ — دنيا جديدة

ب ـ قصص مطولة :

١ — كليوباترة فى خان الخليلى
٢ — سلوى فى مهب الريح
٣ — نداء المجهول

حـ ـ صور وخواطر :

١ — ملامح وغضون
٢ — النبى الانسان
٣ — شفاء الروح
٤ — عطر ودخان

د ـ رحلات

١ — أبو الهول يطير
٢ — شمس وليل

هـ ـ قصص تمثيلية :

١ — صقر قريش
٢ — سهاد أو اللحن التائه
٣ — المنقذة
٤ — المخبأ رقم ١٣
٥ — المزيفون
٦ — فداء
٧ — عوالى
٨ — أبو شوشة والموكب
٩ — قنابل
١٠ — حواء الخالدة
١١ — اليوم خمر
١٢ — ابن جلا
١٣ — أشطر من إبليس
١٤ — كذب فى كذب

و ـ تحت الطبع :

١ — شمروخ « قصة مطولة »
٢ — كل لقمتك بعرق جبينك »
٣ — تمر حنا عجب « مجموعة قصصية »
٤ — ابن الأغلب « تمثيلية »
٥ — مشكلات اللغة العربية
٦ — دراسات فى القصة والمسرح

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٤٤٢٢٢

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة